مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد (٢)، ص ص ٧٩٧-٨٩٣، (ربيع ثاني ١٤٣٦هـ/ يناير ٢٠١٥)

تطور إفراد الخصائص النبوية بالتصنيف في القرنين السادس والسابع الهجريين

د. عبدالعزيز بن سليمان المقبل
جامعة القصيم

ملخص البحث. إن إفراد الكتابة في الخصائص بتصنيف مستقل لم يكن معروفًا قبل القرن السادس الهجري، وكان العلماء يُضمّنونها في تخصصات أخرى، وكل من تطرّق إلى بداية إفراد الخصائص بالتصنيف من الباحثين المتأخرين عدّوا ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣هـ) أول من أفردها بالكتابة، في حين اتضح أنه سُبِق من علماء آخرين، ويُعدُّ أهل السُّنة أول من أفردها بالتصنيف، وما ورد من كتب لبعض الشيعة عن الخصائص، تبيّن أنها لا علاقة لها بالخصائص النبوية، أو أنها مصنفات غير مفردة.

واتضح أن إفراد الخصائص بالتصنيف كان في بدايات القرن السادس، ولعل من أسباب هذا التأخر، ربطها في البداية ببعض أبواب الفقه فيما يخصّ الرسول ρ من تشريعات، وكذا علاقتها بالدلائل والمعجزات من بعض الوجوه، وقد يكون من أسباب تطورها في القرن السادس، تركيز المصنفات في القرنين الرابع والخامس على الدلائل والمعجزات والشمائل؛ مما ولّد تفريع الخصائص من هذه الأنواع بعد أن كانت الخصائص مقترنة بها. وقد تبيّن أن الفكرة السائدة بأن أول من أفرد التصنيف بالخصائص إما ابن الجوزي، أو ابن دحية، أو ابن الملقن غير صحيحة، وإنما كان السابق في هذا الباب هو ابن سبع السبتي.

وقد اتضح إبداع المسلمين العلمي في مجال السيرة النبوية، إذ رأيناهم يفردون الخصائص بالتصنيف بعد أن كانت مندرجة في أنواع أخرى، وهناك خيط رفيع بين الدلائل، والشمائل، والفضائل، والخصائص، وأن التمييز بينها بالتصنيف يدلُّ على عمق فهم علماء المسلمين ونضج عقولهم، ثم رأيناهم قسّموا الخصائص وفرّعوها وجعلوها أنواعًا؛ الأمر الذي جعل الكتابة في السيرة النبوية في تطور مستمر، وإنه يتحتّم في هذا العصر مواصلة المسيرة في الكتابة في مجال السيرة بما يتوافق مع حاجات الواقع ومتطلباته، بدلًا من اجترار الأعمال العلمية وتكرارها.

وقد يكون التيار الصوفي من أسباب التركيز على إيراد الخصائص التي تُبرز عظمة الرسول ρ، تفاعلًا مع هذا التيار حتى ولو لم يكن العالِم منتظمًا بضلالات الصوفية وطوامهم، كما أنه في المقابل احتاج المتوسطون في باب الاعتقاد بالرسول ρ أن يكتبوا مصنفات يُركِّزون فيها على ما صحّ عندهم من الأحاديث في باب الخصائص

وكان المغاربة أصحاب السبق في إفراد الخصائص بالتصنيف، وفي الوقت نفسه تساوت أعداد مصنفاتهم في هذا الباب مع أعداد مصنفات المشارقة خلال فترة البحث، كما اشترك أصحاب المذاهب الأربعة في الكتابة في الخصائص.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن تأثر المؤلفين بعضهم ببعض بشتى أنواع المعارف أمر مسلّم لا شك فيه، والعلوم بناء متراكم يشدُّ بعضه بعضًا، ولكن لا بد لهذا البناء من أصل يعتمد عليه ويستند إليه، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه (الأصول في مصنفات العلوم)، ومنها مصنفات السيرة النبوية، إذ لها مصادر لا غنى لأي مصنف وباحث عنها، وهي المصادر الأولى التي كان الهدف منها بالدرجة الأولى حفظ أحداث السيرة وتفاصيلها، وهو ما يمكن تشبيهه بمصطلحات البحث الحديث ((جمع المادة العلمية))، خاصة أنها مُفرّقة وموزعة، إما في صدور الرجال، أو في الأجزاء والأوراق الخاصة، ثم أتت المصنفات اللاحقة التي تجمع، وتهذِّب، وتحلل، وتستنبط، وتُفصِّل، وتُفرّع... إلخ.

والعلوم البشرية في الأغلب تتطور وتتنوع، وقد يكون للظروف المحيطة دور في توجهات المؤلفين واهتماماتهم؛ مما يجعلهم يُركِّزون على بعض الموضوعات أو يُبدعون فيها، فمثلًا: إذا كان الصراع مع الأعداء عن طريق المواجهة المسلحة، فإننا نجد أن التركيز يكون على أبواب الجهاد، وكيفية التعامل مع الأعداء المحاربين، والأحكام المتعلقة بذلك، بناء على ما جرى في أحداث السيرة، وإذا كانت الأمور السياسية والعسكرية مستقرة في الداخل والخارج، كانت المناظرة مع المخالفين والخصوم أمرًا بارزًا، إذ نجد الاهتمام بما يخدم هذا المجال بالتركيز على مبادئ الخصام والنقاش، كما في عصرنا الحاضر، حينما يقع الدفاع عن أمهات المؤمنين والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أمام هجمات الروافض، أو تجلية شخصية الرسول ε وبيان عظمته بصفاته، وأخلاقه، ورحمته ومحاسن دينه أمام محاولات الكفار التي ترمي إلى تشويه صورته ε بوسائل إعلامية حديثة، مثل الرسومات وبعض مقاطع الأفلام ونحوها؛ ولذا فإن بروز موضوع أو عدة موضوعات في زمن ما، هو في الأغلب نتيجة لعوامل وظروف وأسباب أنتجت هذا الاهتمام، ولا

يعني التركيز على جانب معين غضّ الطرف عن الباقي، بل إن من يتأمل الكتابة في السيرة عبر العصور، يجد أن العنوان الرئيس يكون في الجانب المراد بيانه، ولكن يُدرج تحته جُلّ السيرة؛ فهو توظيف للسيرة أجمع في مقابل إثبات حقيقة معينة، أو لتحقيق أهداف متعددة.

وأعود لأستشهد بالحاضر، فنصرة الرسول ε أمام هجمات الإعلام الغربي؛ لفت الغيورين من المسلمين إلى ضرورة إحياء ثقافة السيرة النبوية عند المسلمين بالدرجة الأولى، مع القيام بواجب النصرة أمام حملات التشويه للرسول ε بوسائل متعددة، فكان الاهتمام من قِبل جهات كثيرة بإبراز سيرة الرسول ε بأحداثها وتفاصيلها، وإن كان الشعار المرفوع هو الدفاع عن الرسول ε أمام هجمات الأعداء، فهذه سلسلة مترابطة يعيها المتابع ومن يُعايش الواقع.

ومن هنا فإن التركيز على بعض جوانب السيرة في فترات من تاريخنا، وإدخال العلماء لأغلب السيرة تحت هذه الجوانب؛ له دلالاته التي يجب أن نعيها جيدًا؛ حتى نفهم مسببات الأسباب والنتائج المترتبة عليها، وحتى نُقيّم تلك الأعمال تقييمًا سليمًا، فظروف الزمن متشابهة، مع اختلاف الوسائل والأساليب، ولكن الهدف واحد.

إن دراسة أنواع التصنيف في العلوم وأسبابه له طرائق شتى، منها دراسة الأحوال المتنوعة (سياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية، وعلمية، وثقافية، ودينية... إلخ) في عصر من العصور؛ مما يوضّح اهتمامات المؤلفين وأنواع المصنفات، ومن الأساليب كذلك دراسة مصنفات علم من العلوم في عصر من العصور، مثل دراسة مصنفات السيرة في القرن الثالث الهجري، ومن ثَم تلمُّس أهداف تلك التصانيف؛ لمعرفة أسباب التصنيف وأنواعه. ومن الأساليب كذلك دراسة صنف من أنواع العلوم، كدراسة المصنفات في دلائل النبوة في علم السيرة النبوية؛ لمعرفة أسباب ظهور هذا النوع من التصنيف، وتطوره، والمراحل التي مرّ بها، هذا إذا كان البحث في علمٍ من العلوم بصفة عامة، وقد يتجه بعضهم إلى دراسة شخصية علمية بذاتها، وهذه الشخصية قد تكون متأثرة بالمحيط التاريخي بها، وقد يكون لها ميول خاصة لا علاقة لها بما يدور حولها، وهذا باب واسع يطول الكلام فيه.

والمقصود من الكلام السابق أن هذا البحث من باب دراسة نوع من المصنفات في السيرة النبوية، برز في فترة محددة من تاريخنا الإسلامي، استنبطته بعد أن قمت بإعادة ترتيب مصنفات السيرة حسب وفيات المصنفين، ثم على حسب الموضوعات في السيرة لكل قرن، فخرجت بعدة نتائج، ومنها: أن إفراد الكتابة في الخصائص بتصنيف مستقل لم يكن معروفًا قبل القرن السادس الهجري ـ كما سيأتي بيانه في موضعه ـ فكان هذا حافزًا لي لمعرفة هذه النقلة في التطور في تصنيف السيرة، ومعرفة الأسباب، وإبراز الرواد في هذا الباب.

كما لاحظتُ أن جُلّ أقسام السيرة وأنواعها سبق إليها الأولون، خاصة في القرن الثالث الهجري، أما الخصائص فتأخر إفراد التصنيف فيها؛ إذ كان العلماء يُضمّنونها إما في تخصصات أخرى، مثل بعض أبواب الفقه، أو أبواب العقائد، وفي الأغلب يدخلونها في دلائل النبوة وعلاماتها؛ مع الأخذ بعين النظر أن إدراج الخصائص في مصنفات العلوم الأخرى، مثل كتب الفقه والدلائل والشمائل استمر كذلك في فترة البحث، وإنما المراد هنا إفرادها بالتصنيف، دلالة على التطور الذي وصل إليه هذا القسم من أقسام السيرة النبوية.

ولاختيار هذا الموضوع أسباب وأهداف عامة وخاصة، فأما العامة فتشترك فيما ذكرته في كتابي ((دراسة على مصنفات الدلائل والشمائل في القرن الرابع الهجري))، وأما الخاصة فتتلخص في التالي:

١-البحث في موضوع الخصائص له فوائده، فمن زيادة الإيمان والتقدير والتعظيم للرسول ε، إلى الفهم الدقيق والصحيح لخصائصه الثابتة له عليه الصلاة والسلام بعيدًا عما لحقها من مبالغات جعلت بعضهم يوصله إلى حد الربوبية والإلهية، وخلافًا كذلك لأهل الجفاء الذين كثروا في هذا العصر، والله المستعان[١].

٢-إدراك النضج الذي وصل إليه التصنيف في مجالات السيرة النبوية، وذلك بدراسة فرع من فروعها.

---

(١) لعل من أفضل المؤلفات المعاصرة في هذا الباب، كتاب الصادق بن محمد بن إبراهيم، خصائص المصطفى ρ بين الغلو والجفاء، الرياض، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، والكتاب في الأصل أطروحة ماجستير.

٣-تلمُّس أسباب العلماء ودوافعهم حينما أفردوا الخصائص بالتصنيف، واهتموا بها وأبرزوها، وفصّلوا فيها.

٤-والمُلاحظ المهم أن هناك خيطًا رفيعًا بين الدلائل، والشمائل، والفضائل، والخصائص، وأن التمييز بينها بالتصنيف يدلُّ على عمق فهم علماء المسلمين ونضج عقولهم.

٥-إن التطور الذي حظيت به كتابة السيرة عبر تاريخ المسلمين؛ يُحفِّز على استمرار هذا التطوير في مجالات السيرة المتنوعة، ولا يصح في هذا العصر اجترار أعمال السابقين بأصباغ مختلفة فقط، بل لا بد من الكتابة النوعية التي تُعيد للسيرة النبوية حركتها وحيويتها.

٦-كل من تطرّق إلى بداية إفراد الخصائص بالتصنيف من الباحثين المتأخرين عدّوا ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣هـ)، أول من أفردها بالكتابة، في حين يتضح من خلال هذا البحث أنه سُبق من علماء آخرين يأتي ذكرهم في موضعه.

٧-يُلاحظ أن كثيرًا من الكُتّاب والباحثين ينقل بعضهم عن بعض دون تمحيص، في أبواب متعددة، ومنها أنواع المصنفات، ومسميات الكتب، ونسبتها إلى مصنفيها، فنجد مثلًا أن الغالبية ينقلون من كتاب المنجد ((معجم ما ألف عن رسول الله ρ)) نقلًا كاملًا، وبعضهم لا يُشير إليه، ويدلّ على ذلك تكرّر الأخطاء بين الناقل والمنقول منه، ومثله الاستسلام لاستنتاجات الآخرين دون تمحيص، كما سيرد في هذا البحث حول أمور عدة، ومما يُؤسف له أن المتأخر لا يحيل على صاحب الفكرة الأول في بعض الأحيان.

ومن هنا، فإن مثل هذه البحوث المتخصصة تكشف كثيرًا من هذه الأغلاط والأوهام المتكررة؛ حتى لا تصبح مع كثرة ناقليها دون تمحيص سببًا لترسيخها في فروع العلم.

والحق أن الساحة الأدبية في مجالات العلوم الإنسانية تحتاج إلى نقد وتفتيش؛ لكثرة ما أصابها من تقميش أو سطو على أعمال الآخرين، والتي أصبحت ظاهرة مزعجة للجادين؛ مما قتل الإبداع، وقلّل الإنتاج العلمي الرصين، وقد يركن كثير من الباحثين إلى غضّ الطرف عن هذه المزالق؛ تجنبًا للنزال العلمي، أو مجاملة، أو مراعاة لاعتبارات أخرى كثيرة، في حين أن تاريخنا الثقافي مليء بالمنازلات والمطارحات العلمية

والأدبية، والتي تجعل المتعالمين لا يتجرؤون على أعمال الآخرين وأفكارهم بسهولة، وقد بلغ سلفنا غاية الدقة في النقد حينما كتبوا في السرقات والاقتباسات الشعرية والنثرية، بل وحفظوا حق الأوائل بتصانيف خاصة بكل من كان له سبق أدبي أو علمي، بل وحتى مهني.

على أني في هذا البحث تجنّبت الإكثار من ضرب الأمثلة في مثل هذه الحالات، والتمست الأعذار قدر الاستطاعة، على أن الوقوع في الخطأ من طبيعة البشر، إلا من عصمه الله، ولستُ من المعصومين، ولكن المقصود الالتزام بالأمانة العلمية، واستحضار النية في عدم اقتطاع حق الآخرين المادي، أو العلمي، أو المعنوي.

وقد يرد تساؤل عن نطاق البحث الزماني: لماذا لم يتم تخصيص قرن واحد فقط لمثل هذا العمل؟

والمجرب يدرك أن دراسة تاريخ الفنون والعلوم يستلزم التوسع في البعد الزماني؛ لأن العلوم ليست كائنات حسية تتشكّل بسهولة أو على يد فرد أو مجموعة من الأشخاص، وإنما لها تمدد عمري طويل، وإن كانت في بعض الفترات تقفز بقوة، ولكن بذرتها الأولى ونماؤها أخذ وقتًا قبل أن يصل إلى النضج الكبير.

ومن ناحية أخرى، فإن رُعاة هذه العلوم وسقاتها، وهم العلماء، يندر أن يوجدوا جميعًا في فترة زمنية واحدة، وإنما أزمانهم متفاوتة، وهذا من سنن الحياة ونعمة الله على عباده، ومن الملاحظ أنهم كثيرًا ما يعيشون بين قرنين، ومن ثمَّ فإن تحديد قرن واحد يجعل البحث في حكم المستحيل، إذ لا تترابط أفكاره ولا تنضبط نتائجه ، ولو أخذنا مثلًا فارس ميدان التصنيف في الخصائص وهو ابن دحية الكلبي؛ فسنجد أنه توفي عام (٦٣٣هـ)، ومن الاستحالة عدّه في القرن السادس فقط، أو جعله في القرن السابع فقط، وبناء على هذا، فإن عصر العلماء الذي عاشوه له أكبر الأثر في التحديد الزمني لأي دراسة من هذا القبيل.

وقد جعلت البحث في خمسة مباحث:

في **المبحث الأول:** عرَّفت بالخصائص تعريفًا مركّزًا، مع الإشارة إلى الاختلاف في فائدة البحث فيها.

و**المبحث الثاني:** عن تحقيق القول في إفراد الخصائص بالتصنيف قبل القرن السادس الهجري، وتطرّقت فيه إلى طريقة العلماء في الكتابة عن الخصائص قبل فترة الدراسة، مع تحرير مفهوم مقصد البحث، ثم تناولت المصنفات المفردة في الخصائص التي ذُكرت للشيعة، أما السنة فلم يرد لهم مصنفات مستقلة فيها، وإن ضمّنوها في مصنفاتهم الأخرى الفقهية، والعقدية، والتاريخية.

أما **المبحث الثالث:** فتطرّق إلى المصنفين في الخصائص في القرنين السادس والسابع الهجريين، وحدّدت فيه أول عالم أفرد الخصائص بالتصنيف، ثم من أتى بعده، مع بيان الوهم الوارد عند البعض في عدّهم بعض المصنفين ممن أفرد الخصائص بالتصنيف.

و**المبحث الرابع:** درست فيه كتب الخصائص المفردة التي ثبت لي كتابتها في القرنين موضوع الدراسة، إذ اجتهدت في تحرير مسمياتها، وأعطيت لمحة عن محتوياتها، وأسلوبها، وقيمتها العلمية، وما تميزت به، ثم المآخذ عليها.

و**المبحث الخامس:** عن كُتب الخصائص بعد القرن السابع إلى نهاية القرن العاشر، قدّمت فيه قائمة بالكتب التي صُنّفت خلال تلك الفترة؛ بغية معرفة التطور الذي وصل إليه هذا القسم من أقسام السيرة بعد فترة الدراسة، ولتسهيل عمل من شاء أن يقوم بدراسة تستكمل هذا الجانب، أو يُحقّق من الكتب ما لم يخرج إلى النور بعد، وبما أنه تم التطرق لكتب الخصائص قبل فترة البحث فمن المناسب إعطاء تصور عام عن الفترة بعده؛ لتقييم مدى التطور خلال فترة الدراسة؛ والسبب في الوقوف عند نهاية القرن العاشر، أن أغلب المصنفات التي كُتبت بعده كانت تلخيصًا، أو شرحًا، أو نظمًا لما سبقها من الكتب.

وأسأل الله الكريم أن يتقبّل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما فيه من الزلل.

المبحث الأول: تعريف الخصائص وفائدتها

في المعجم الوسيط: "الخَصِيْصة: الصِّفة التي تُميّز الشيء وتحدده، والجمع: خصائص"(٢).

قال ابن دريد(٣): "خصّه بالشيء يَخُصُّهُ خَصًّا وخُصوصًا وخُصوصية، إذا فَضَّله به. وخَصَّه بالوُدّ كذلك".

وقال في اللسان: "خصّه بالشيء يخُصُّه خَصًّا وخُصوصًا وخَصُوصِيَّةً وخُصُوصِيَّةً، والفتح أفصح، وخِصّيصَي وخصّصَه واختصّه: أي أَفْرَدَه به دون غيره. ويُقال: اختُصّ فلانٌ بالأمر وتخصّصَ له، إذا انفرد"(٤).

وفي التاج(٥): "اخْتَصَّهُ بالشيءِ اخْتِصاصًا: خَصَّهُ بهِ فاخْتَّصَ وتَخَصَّصَ، لازِمٌ مُتعْدٍّ، ويُقال: اخْتَصَّ فلانٌ بالأمرِ وتَخَصَّصَ له، إذا انْفَرَدَ".

فالخصائص في اللغة: الاختصاص، والفضل، والتميز، والانفراد.

فيكون معنى الخصائص النبوية: الأمور التي انفرد بها النبي ε وتميز وفُضِّل بها عن باقي البشر، أو خُصّت أمته بها لأجله عليه الصلاة والسلام.

ولعل من المستحسن الإشارة إلى ما وقع من اختلاف بين العلماء حول أهمية الحديث عن الخصائص النبوية، والكلام فيه طويل، ولكن ننقل كلام النووي الذي لخّص المسألة فقال: "قال إمام الحرمين: قال المحققون: ذِكرُ الاختلاف في مسائل الخصائص خَبْطٌ غير مفيد؛ فإنه لا يتعلق به حُكمٌ ناجزٌ تمسُّ إليه حاجة، وإنما يجري الخلاف فيما لا نجدُ بُدًّا من إثبات حكمٍ فيه،

---

(٢) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة (باب الخاء)، ٢٣٨/١.

(٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١ هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ١٠٥/١ (خصص).

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ٢٤/٧ (خصص).

(٥) الزبيدي، أبوالفيض محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، ٥٥٥/١٧ (خصص).

فإن الأقيسة لا مجال لها، والأحكام الخاصة تُتْبَعُ فيها النصوص، وما لا نصّ فيه فتقدير اختيار فيه، هجومٌ على الغيب من غير فائدة. وقال الصيرمي: مَنَعَ أبو علي بن خَيْرَان الكلام في الخصائص؛ لأنه أمرٌ انقضى، فلا معنى للكلام فيه. وقال سائر أصحابنا: لا بأس به. وهو الصحيح؛ لما فيه من زيادة العلم. فهذا كلامُ الأصحاب. والصواب الجزمُ بجواز ذلك بل باستحبابه، بل لو قيل بوجوبه لم يكن بعيدًا؛ لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتةٌ في الحديث الصحيح فعمل به أخْذًا بأصل التأسي، فوجب بيانها لتُعرف فلا يُعمل بها، وأيُّ فائدة أهم من هذه؟ وأما ما يقع في ضمن الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليلٌ، لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الأدلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه"(٦)، وبنحو هذا قال عدد من العلماء(٧).

والملاحظ أن كلامهم هنا فيما يتعلّق بالمسائل الفقهية التي انقطعت، دون التشريعية والعقدية وما له اتصال بالمعجزات والدلائل، أو التاريخية المستمرة.

---

(٦) النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت ودمشق وعمان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ (١٩٩١م)، ١٨.١٧/٧، وتهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، تصوير دار الكتب العلمية، ٤٤.٤٣/١.

(٧) ينظر مثلًا ما ذكره ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري (ت ٨٠٤هـ)، غاية السول في خصائص الرسول ρ، تحقيق: عبدالله بحر الدين عبدالله، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، ص٧١.٦٨، والمقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبدالحميد النمسيي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، ٧/١٣، والقسطلاني، أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، بيروت ودمشق وعمّان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)، ٥٩٧/٢، والزرقاني، محمد بن عبدالباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، ١١١/٧.

المبحث الثاني: التحقيق فيما ورد من إفراد الخصائص بالتصنيف قبل القرن السادس

لم يكن العلماء يميّزون الخصائص بتصنيفات مستقلة، وإنما يوردون الخصائص في الدلائل، والمعجزات، والشمائل، والفضائل؛ وذلك لوجود تداخل في بعضها، فمن الخصائص ما هو من دلائل نبوته ε ومعجزاته، ومن شمائله، وأخلاقه، وفضائله، وحقوقه كذلك، والعكس.

ولعل السبب أن كثيرًا من المصنفات تتداخل فيها هذه الأقسام، خاصة أن بعضها لم يُطبع أو لم يصل إلينا، بحيث لا يتضح هدف المصنّف وقصده من كتابه إلا بعد الاطلاع عليه، فمثلًا الكتب التي تناولت أسماء الرسول ε هل هي لمجرد ذكر أسمائه عليه السلام واستيعابها أو أن لبعض المصنفين هدفًا في إبراز ما اختص به الرسول ε من هذه الأسماء، أو كان هدفهم بيان الإعجاز فيها، أو الأمور الثلاثة جميعًا؟

ولابد للإجابة عن هذا التساؤل من الاطلاع على هذه المصنفات ودراستها، خاصة أن عناوينها قد لا تدلُّ على مضامينها الدقيقة.

وسيأتي معنا في هذا البحث مثالٌ واضح، وهو كتاب ((الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ε من المعجزات))، فمن يرى عنوان الكتاب ــ وهو مطبوع ــ لا يشك أنه في المعجزات، ولكن بعد النظر فيه يتضح بجلاء أنه في الخصائص، بل وردت له عناوين أخرى هي أقرب إلى مضمونه.

وقد كان العلماء يُفردون كل نوع بالتصنيف لأغراض متعددة، وإن تداخلت عندهم الأقسام في أغلب الأحيان، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة، وكمثال على ما يخصُّ موضوع البحث، فإن بين الدلائل والشمائل والفضائل وبين الخصائص تداخل لطيف ودقيق إيضاحه يطول، ولي فيه بحث مستقل، سهّل الله إنجازه.

وهذا التداخل في بعض الأجزاء لا يمنع التقسيم والتفريع، وإن التمييز بينها فنٌّ قدير، وإبداع علميٌّ رصين، ولكل قسم فوائده وثمرته، ومن هنا فإن هذا البحث من ضمن مقاصده، تلمُّس النضج الذي وصل

إليه التصنيف في السيرة النبوية بدراسة باب من أبوابها، بناءً على تصريح المصنفين بإفراد كُتب في موضوع (الخصائص)؛ مما يعني محاكمة كتاباتهم بناءً على عناوين كتبهم، وليس المقصود إعطاء عناوين لكتبهم من خلال مضامينها الداخلية، فمثلًا من سمّى كتابه بالدلائل أو الشمائل، قد يتحدّث كثيرًا عن الخصائص، فلا يصح أن يُقال عنه: إن كتابه في الخصائص، وإنما فيه خصائص، ولكن من سمّى كتابه بالخصائص فهذه تسمية دقيقة تعني أن المصنف يجب عليه أن يلتزم بدقة بهذا الباب، فيُقوَّم عمله كما جاء في عنوان كتابه.

والمقصود من هذا ألا يعترض معترض فيقول: إن الكتابة في الخصائص متقدمة على القرن السادس والسابع؛ بدليل إفراد التصنيف في أسماء النبي ε مثلًا أو في البشارات ونحو ذلك، إذ لم تُربط هذه المصنفات بالخصائص في عناوينها، ويصعب الحكم على مضامينها كلها، ولكن يهمنا العنوان الذي هو الفصل والحكم، والذي في الأغلب يحكي هدف المصنّف من كتابه؛ ولذا ضربنا المثل بكتاب ابن دحية ((الآيات البينات)).

ولم تُفرد الخصائص بالتصنيف عند أهل السنة قبل القرن السادس، أما الشيعة فقد ذكروا كتابين من مصنفاتهم في هذا الباب ــ حسب اطلاعي ــ وعليهما مآخذ يأتي الحديث عنها، كما أن نظرة الشيعة للخصائص فيها اختلاف عن منهج أهل السنة، كما هو واضح في مصنفاتهم(٨).

(٨) يُنظر مثلًا كتاب الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ)، خصائص الأئمة، تحقيق د محمد هادي الأميني، مشهد، إيران، مجمع البحوث الإسلامية الأستانة الرضوية، ١٤٠٦هـ، وكتاب التستري، جعفر بن حسين (ت ١٣٠٣هـ)، الخصائص الحسينية ـ خصائص الحسين عليه السلام ومزايا المظلوم، تحقيق: جعفر الحسيني، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام، مركز الأبحاث العقائدية، وكتاب الكجوري، محمد باقر (ت ١٣١٣هـ)، الخصائص الفاطمية، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، إيران، نشر انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ، وكتاب مكي، ساجد، خصائص الزهراء،، بيروت، دار الولاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

وممن اطلعت عليه ممن أفرد الخصائص بالتصنيف من الشيعة قبل القرن السادس الهجري: أبو جعفر أحمد بن محمد[٩] بن خالد البرقي الكاتب، وأصله من الكوفة، وكان جده خالد قد هرب من يوسف بن عمر الثقفي مع أبيه عبدالرحمن إلى بَرْقة، من قرى قُمّ، فوُلِد أحمد ونشأ بها[١٠]، وهو من فقهاء الشيعة وعلمائهم ومن كبار الروافض، وله تصانيف في الرفض[١١]، منها كتاب عن تحريف القرآن[١٢]، وهو معدود

(٩) والد أحمد هو: أبو عبدالله ويُقال: أبو الحسن محمد بن خالد بن عبدالرحمن بن محمد البرقي القمي الشيعي مولى أبي موسى الأشعري، من أصحاب موسى الرضا، توفي في حدود سنة ١٩٠هـ، له من الكتب: كتاب العويص، وكتاب التبصرة، وكتاب الرجال، ذكر فيه من روى عن علي رضي الله عنه (ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، منشورات نور محمد أصح المطابع، ١٣٩١هـ (١٩٧١م) ص٢٧٦، والنجاشي، أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)، رجال النجاشي أو فهرست أسماء مصنفي الشيعة، تحقيق: موسى الزنجاني، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ، ص٣٣٥، وياقوت، بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، ٤٣١/١، وإسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، عناية وكالة المعارف بإسطنبول، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٨/٢)، وإن اختلفت بعض المصادر في نسبة بعض الكتب إلى ابنه أحمد.

(١٠) النجاشي، رجال النجاشي، ص٧٦، والطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، فهرست= =الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص٦٢، وياقوت، معجم الأدباء ٤٣١/١، ومعجم البلدان، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م، ٣٨٩/١، وإسماعيل باشا، هدية العارفين ٦٧/١.

(١١) ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٩/١، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ (١٩٧١م)، ٢٦٢/١، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة علي البجاوي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٤٣/١.

(١٢) النجاشي، رجال النجاشي ص٧٦، والطبرسي، ميرزا حسين النوري، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، طهران، ١٢٩٨هـ، ص٣٠.

من أئمتهم حتى جعلوا كتابه ((المحاسن)) من كتبهم الحديثية الستة المجمع عليها[١٣]، وتبلغ تصانيفه نحو مائة كتاب[١٤]، وهو مطعون بروايته عند الإمامية[١٥]، إذ جاء عند الكليني ما يوحي بذمه[١٦]، وقال النجاشي: "ثقة في نفسه، يروي عن الضعفاء، واعتمد المراسيل"[١٧]، وقال ابن الغضائري: "طعن القُميون عليه، وليس الطعن فيه، إنما الطعن فيمن يروي عنه؛ فإنه كان لا يُبالي عمن يأخذ، على طريقة أهل الأخبار"[١٨]، وهذا عجيب فكيف يكون كتابه ((المحاسن)) من كتبهم الستة المعتمدة وهو يروي عن الضعفاء، ويعتمد المراسيل، ولا يُبالي عمن يأخذ؟! والقوم يحاولون تلطيف الطعن فيه، حتى جاء من المتأخرين من دافع عنه واجتهد في توثيقه[١٩].

وكان البرقي في زمن المعتصم[٢٠] (٢١٨ إلى ٢٢٨)، ومن ترجم له من الشيعة يجعل وفاته سنة ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ[٢١]، أما من ذكر وفاته سنة ٣٧٦ هـ، فبعيد[٢٢]، وله كتاب ((الخصائص))[٢٣].

---

(١٣) المرعشي، نور الله بن شريف الدين الحسيني التستري (ت ١٠١٩هـ)، مصائب النواصب في الرد على نواقض الروافض، تحقيق: قيس العطار، قم، مطبعة نگارش، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ١٢٨/٢.

(١٤) ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٩/١.

(١٥) الزركلي، خير الدين محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م، ٢٠٥/١.

(١٦) الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة، ٥٢٦/١-٥٢٧، وقد فهم المحقق أن "فيه ذمًّا لأحمد بن خالد البرقي".

(١٧) رجال النجاشي ص٧٦، وعنه أخذ البقية.

(١٨) ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الواسطي (ت القرن الخامس)، رجال ابن الغضائري، تحقيق: محمد رضا= =الجلالي، قم، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص٣٩.

(١٩) مثل الأمين، محسن بن عبدالكريم العاملي (ت ١٣٧٣هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار التعارف، ١٠٧/٣، والأبطحي، محمد علي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، قم، مطبعة نگارش، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ٢٤٨/٣، وجلال الدين الحسيني، في مقدمة تحقيقه لكتاب ((المحاسن)) للبرقي، ١٢/١ وما بعدها.

(٢٠) ابن حجر، لسان الميزان، ٢٦٢/١.

ولكن هل هذا الكتاب في الخصائص النبوية، أو في خصائص اللغة، أو في خصائص أئمة الشيعة أو خصائص بعضهم؟ يدلُّ صنيع الطوسي وياقوت أنه من كتب اللغة؛ إذ ذكراه بين كتب اللغة التي ألفها أبو جعفر، قالا: "كتاب العين، كتاب الخصائص، كتاب النحو"، ثم سردا كتبًا أخرى، ثم ذكرا: "كتاب مغازي النبي ε، كتاب بنات النبي ε وأزواجه"، فلم يجعلا كتاب ((الخصائص)) مع كتب السيرة.

بينما سماه إسماعيل باشا ((خصائص النبي ε وآل بيته))(٢٤).

والسبب في عدم القطع باسم الكتاب، أن القوم لهم مصنفات أخرى في خصائص علي τ، وخصائص فاطمة رضي الله عنها وخصائص أئمتهم، ونحوها(٢٥)، وكتب التراجم عندهم أحيانًا لا تذكر اسم الكتاب كاملًا وتكتفي باسمه الأول (الخصائص)(٢٦)، وبما أن إسماعيل باشا

---

(٢١) النجاشي، رجال النجاشي، ص٧٧.

(٢٢) إسماعيل باشا، هدية العارفين، ٦٧/١، ومن الواضح أنه خطأ، فإذا كان والده توفي في حدود سنة ١٩٠هـ، فمن البعيد أن يكون أبو جعفر عاش إلى ذلك التاريخ، وكذلك عند النظر إلى أحداث جده وكذلك إلى طبقة شيوخه، مما بسطه في غير هذا الموضع، وقد يكون التاريخ وقع فيه خطأ طباعي أو تحريف فتحول الرقم (٢) إلى (٣).

(٢٣) النجاشي، رجال النجاشي، ص٧٦، والطوسي، فهرست، ص٦٣، وابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديمًا وحديثًا، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ (١٩٦١ م)، ص٤٨، وياقوت، معجم الأدباء ٤٣١/١، وإسماعيل باشا، هدية العارفين ٦٧/١.

(٢٤) إسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عناية وتصحيح: محمد بالتقايا ورفعت الكليسى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٤٣٠/٢.

(٢٥) ينظر مثلًا ما ذكره الطهراني، آقا بزرك (ت ١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، قم، وطهران، الناشر إسماعيليان، وكتابخانة إسلامية، ١٤٠٨هـ، ١٤٣/٧ وما بعدها.

(٢٦) مثل الكتاب الذي ينقل منه الحلي في كشف اليقين وسماه ((الخصائص)) للطبري، وهو في خصائص علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد يكون قصد الحلي كتاب ((فضائل علي)) للطبري الخليلي أو كتاب أبي جعفر محمد بن جرير، ولكنه سماه بالخصائص (ينظر عند الطهراني، الذريعة، ١٤٣/٧)، ومثل كتاب ابن حيون، أبو حنيفة النعمان بن محمد القاضي (ت ٣٦٣هـ): ((شرح الأخبار في فضائل النبي المختار وآله

متأخر، وليس من دليل على اطلاعه على الكتاب؛ فيبقى احتمال اختلاط الاسم الذي ذكره بكتاب آخر أمر وارد، ومن يبحث في موضوع المصنفات، يدرك صعوبة القطع بمثل هذه الأمور إلا بدليل يقيني، وهو ما يُعرف بمناهج البحث بالنقد السلبي، ومن الأمثلة الواضحة في هذا الموضوع أيضًا أن إسماعيل باشا[٢٧] ذكر كتاب ((شرح الأخبار في فضائل النبي المختار وآله المصطفين الأخيار من الأئمة الأطهار))، لأبي حنيفة النعمان بن محمد قاضي الفاطميين(ت ٣٦٣ هـ)، وعند التحقق من الكتاب ــ وقد طُبع ــ نجد أن اسمه ((شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار))[٢٨]، وليس في الكتاب أي شيء عن فضائل النبيρ.

المصطفين الأخيار من الأئمة الأطهار))، فقد ذكر اسمه هكذا: إسماعيل باشا، هدية العارفين، ٤٩٥/٢، وبروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ٣٢٤/٣، وسزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ (١٩٩١م)، م١، ج٣، ص٣٦٥، ولكن بعد الرجوع للكتاب تبيّن أنه ليس فيه شيء من فضائل النبي ρ، وإنما هو في فضائل أهل البيت فقط، والكتاب مطبوع باسم ((شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار)) (تحقيق: محمد الجلالي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٤هـ)، ومثل كتاب ابن البطريق الحلي، يحيى بن الحسن (ت ٦٠٠هـ): ((خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين))، فبعض مصادر الشيعة تذكره عند سردها لكتب هذا المصنف (خصائص) فقط، (ينظر مثلًا عند: الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، قم، دار الكتاب الإسلامي، ٣٤٥/٢، والخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١١هـ)،= =معجم رجال الحديث وتفاصيل طبقات الرواة، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)، ٤٦/٢١). وذكره عباس بن محمد رضا القمي (ت١٣٥٩هـ) في كتاب الكنى والألقاب، طهران، منشورات مكتبة الصدر، (٢٢٧/١): ((العمدة والمناقب والخصائص))، وهذا يوهم أنه كتاب واحد، وقد يُظن أنه في الخصائص النبوية، في حين أنها ثلاثة كتب ليس فيها شيء من الخصائص النبوية، أما كتاب ((خصائص الوحي المبين))، فقد طُبع في تبريز سنة ١٣١١هـ، ثم أعاد طبعه مالك المحمودي، قم، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢٧) هدية العارفين، ٤٩٥/٢.

(٢٨) تحقيق محمد الجلالي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٤هـ.

وثمة أمر مهم آخر، إذ حديثنا هنا عن إفراد الخصائص بالتصنيف بكتاب مستقل، والذي يتضح من كلام النجاشي، والطوسي، وابن شهر آشوب أن ((الخصائص)) ليس كتابًا مستقلًا وإنما هو جزء من كتاب البرقي الكبير ((المحاسن))[٢٩]، وبعد أن سرد النجاشي بعضها، قال: "هذا الفهرست الذي ذكره محمد بن جعفر بن بطة من كتب المحاسن"[٣٠]؛ لذا قال الأمين العاملي تعليقًا على كلام النجاشي: "يدل على أن ما ذكره كله من أجزاء كتاب المحاسن"[٣١]، يضاف إلى هذا أنهم ذكروا أن كتاب المحاسن زيد فيه ونقص[٣٢]، فالقطع بنسبته إليه تحتاج إلى زيادة تثبت، وإن كان بعض متأخري الشيعة حاولوا تفسير معنى الكلام بأن المقصود بالزيادة والنقصان من كتب البرقي نفسه، وفي عدد الأجزاء والأبواب، لا من كتب غيره[٣٣]، ولكن هذا صرف للكلام عن ظاهره، وهروب من المآخذ التي أخذها بعض أهل السنة على الشيعة.

كما أنه بالنظر إلى ما طُبع من كتاب ((المحاسن))[٣٤]، يتضح أن الكُتب المذكورة أشبه بفصول للكتاب، وليست كُتبًا مستقلة، وبعضها صغير جدًّا لا يصل في المطبوع إلى عشرين صفحة مع صغر حجم الكتاب.

والعجيب أن من الشيعة من يجعل الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ) صاحب أعظم كتاب عند الشيعة وهو ((الكافي))؛ إذ يعدّونه أول من صنّف في الخصائص عمومًا، إذ له كتاب

---

(٢٩) وذكر ابن النديم أن كتاب ((المحاسن)) لأبيه (الفهرست، ص٢٧٦)، ولكن كل من ترجم للابن يذكر الكتاب له.

(٣٠) رجال النجاشي، ص٧٧.

(٣١) الأمين، أعيان الشيعة، ١٠٦/٣.

(٣٢) النجاشي، رجال النجاشي، ص٧٦، والطوسي، فهرست الطوسي، ص٦٢، وابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص٤٧.

(٣٣) من هؤلاء: الأمين، أعيان الشيعة، ١٠٦/٣، والأبطحي، تهذيب المقال، ٢٤٩/٣.

(٣٤) طُبع من كتاب ((المحاسن)) أحد عشر كتابًا، هي التي عُثر عليها من الكتاب، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه جلال الدين الحسيني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ.

((خصائص الغدير))، الذي أصبح مرجع الشيعة في الإمامة[٣٥]، في حين أن البرقي قد سبقه فيما هو أولى، وهو الكتابة في الخصائص النبوية ـ إن صح أنه فيها ـ وكذلك النسائي أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) صاحب السنن، له كتاب ((خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب))، وهم يستشهدون به كثيرًا في كتبهم.

ثم جاء أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن دول[٣٦]، أبو جعفر القمي الطبيب الشيعي (ت ٣٥٠ هـ)، وله مائة كتاب، ومنها كتاب ((خصائص النبي))[٣٧].

وهذا الرجل لا يُعرف عنه إلا ما ذكره النجاشي، وكل من ترجم له من الشيعة يذكر كلام النجاشي فقط، وحتى من متأخريهم الذين يحرصون جدًّا على إبراز رجالهم، فقال المامقاني الذي يستوعب تراجمهم غالبًا: "لم أقف إلا على قول النجاشي"[٣٨]، وقد استغرب محمد تقي التستري ـ وهو من مصنفي الشيعة المشهورين ـ إهمال ابن النديم والطوسي[٣٩] له مع كثرة كتبه التي ذكرها النجاشي! مما يُلقي بظلال من الشك على هذه

---

(٣٥) ينظر ما ذكره الكجوري، الخصائص الفاطمية، ٤٧/١.

(٣٦) عند إسماعيل باشا، هدية العارفين، (عيسى)، ويبدو أنه خلط بين اثنين، الأول: المذكور هنا، والثاني: أحمد بن محمد بن عيسى بن عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري القمي أبو جعفر الشيعي، كان شيخ القميين ووجههم وفقيههم غير مدافع، وله مصنفات (ابن النديم، الفهرست: ص٢٧٨، والنجاشي، رجال النجاشي ص٨١)، وقال ابن حجر: شيخ الرافضة بقُم، له تصانيف وشهرة، كان في حدود الثلاثمائة (لسان الميزان، ٢٦٠/١).

(٣٧) النجاشي، رجال النجاشي، ص٩٠، وإسماعيل باشا، هدية العارفين، ٦٣/١، وإيضاح المكنون ٤٣٠/١ وفيه ((خصائص النبي ε وآل بيته)).

(٣٨) المامقاني، عبدالله بن محمد حسن (ت ١٣٥١هـ)، تنقيح المقال في معرفة علم الرجال، تحقيق واستدراك: محيي الدين المامقاني، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، رقم الترجمة (١٤٤٤٩)، ٢٦١/٧.

(٣٩) قال: "عدم عنوان الفهرست له بعد كونه ذا تلك العدة من الكتب غريب، وأغرب منه عدم عنوان الشيخ له في رجاله!" (محمد تقي التستري، ابن محمد كاظم (ت ١٤١٥هـ)، قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ٥٨٧/١).

الشخصية، خاصة أنه لم يُعثر على شيء من كتبه التي ذُكرت له، حتى إن المامقاني رأى أن تعداد كتبه لا معنى له؛ لعدم معرفتها(٤٠).

والحاصل: أن كتاب البرقي ((الخصائص)) على افتراض أنه في خصائص النبي ρ، ليس كتابًا مُستقلًا، هذا مع الأخذ بعين النظر المآخذ السابقة، وأما القمي فيُشبه أن يكون مجهول الحال(٤١) والعين، وكتبه إن كانت حقيقية لا يُعلم عنها إلا اسمها، وعلى افتراض وجودها تاريخيًّا، فقد تكون فصولًا من كتاب واحد، مثل كتاب البرقي ((المحاسن))؛ إذ يندر أن يكون لمصنف مائة كتاب مستقل وهو غير مشهور.

على أن مصنفي الشيعة لم يكن لهم اهتمام فيما بعد في الكتابة بالخصائص النبوية إلا ما يخدم خصائص آل البيت والأئمة عندهم، وذلك حسب اطلاعي على مصنفاتهم في هذا الباب.

ومهما يكن، فإن البحث هنا لا يُركّز على مصنفات الشيعة؛ لعدم توفُّر مادة علمية عن تلك المصنفات، إضافة إلى الاختلاف في المعتقد والمنهج، بل وحتى في طرائق التصنيف في كثير من الأحيان، ولكن تم التطرّق إليهم باعتبار السبق في إفراد التصنيف، وإن كان ما ذُكر من هذين الكتابين لا يقطع بثبوت إفرادهم الخصائص بالتصنيف قبل أهل السنة.

أما أهل السنة، فإن الكتابة في الخصائص عندهم قديمة، وإن لم يفردوها بالتصنيف إلا في فترة متأخرة، ولكنهم كانوا يُضمّنونها في كتب وأبواب متنوعة، وقد بدأت لتبيين بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالرسول ρ، وذلك مثل بعض أبواب الفقه، ككتاب النكاح في اختصاصه ε بالزواج بأكثر من أربع، وكتاب الغنائم في حل الغنائم له، وكتاب الصلاة في أن الأرض جُعلت له مسجدًا وطهورًا، أو أبواب العقائد، مثل: إرساله إلى الخلق كافة، وإلى الثقلين، والشفاعة العظمى، والوسيلة، والفضيلة، والحوض، والمقام المحمود... إلخ.

---

(٤٠) تنقيح المقال في معرفة علم الرجال، الترجمة (١٤٤٤٩)، ٢٦١/٧.

(٤١) وإن حاول بعضهم تعديله بناءً على قرائن من كلام النجاشي، وهو تعسف واضح (ينظر مثلًا المرجع السابق مع تعليق المحقق).

ثم توسعت الكتابة في الخصائص لتشمل جوانب عقدية، وتشريعية، وتاريخية، وكانوا في الأغلب يدخلونها في دلائل النبوة والمعجزات وشرف النبي ρ، ولهم فيها تصانيف جمّة، ولكن برز أكثرها في كتب دلائل النبوة.

ولا يعني هذا القطع بأن الخصائص لم تُفرد بالتصنيف قبل القرن السادس، فقد يظهر من كنوز المسلمين، التي لم يُنبش كثير منها، أن من العلماء من سبق هذا القرن بالتصنيف فيها، ولكن هذا على حسب اطلاع الباحث وما وسعه جهده وعلمه، وقد كان كثيرون يعتقدون بأن ابن دحية هو أول من أفرد الخصائص بالتصنيف، ثم ظهر من خلال هذا البحث أنه سُبق لهذا العمل، وقد يظهر ما يُبطل هذه النتيجة كذلك، والعلم عند الله عز وجل.

لكن من المؤكد أن انتشار إفراد الخصائص بالتصنيف كانت بدايته من القرن السادس الهجري، ثم تتابع العلماء على ذلك كما سيأتي.

المبحث الثالث: المُصنفون في الخصائص النبوية

في القرنين السادس والسابع الهجريين

لعل ابن سبع أبو الرَّبيع سليمان بن سبع[٤٢] السَّبْتي الخطيب، هو أقدم من أفرد الخصائص النبوية بالتصنيف، فله كتاب ((الخصائص))، اختصره من كتابه الكبير ((شفاء الصدور)).

لكن تبرز أمام الباحث مشكلتان:

الأولى: تحديد تاريخ ولادة ابن سبع ووفاته.

الثانية: جهالة سيرة ابن سبع وحاله.

يقول الأستاذ المحقق سعيد أحمد أعراب[٤٣]، الذي بحث في تراث هذا العالم[٤٤]: "ونجهل كل شيء عن حياته، فلا ندري متى وُلد؟ ولا

---

(٤٢) قال الزبيدي: "ووَزْنُ سَبْعَة: لقبٌ. وأبو الرَّبيع سليمان بن سَبع السَّبْتيّ، وقد تُضَمُّ الباء: صاحبُ شفاء= =الصُّدور" (تاج العروس ١٧٨/٢١ "سبع").

(٤٣) هو محقق أجزاء من التمهيد لابن عبدالبر، وتتمة أزهار الرياض للقاضي عياض، والمقصد الشريف في

متى تُوفي؟ وما هي أسرته؟ ومن هم شيوخه وتلاميذه؟ وكتب التراجم تطبق بالصمت في هذا الصدد، ولا نعرف مرجعًا واحدًا تبرع بترجمته"(٤٥).

ثم استنبط من نص لابن الأبار في كتابه التكملة(٤٦) أنه ربما "عاش النصف الأخير من المائة الخامسة للهجرة وأوائل السادسة"(٤٧)، وتوفي

صلحاء الريف للبادسي، ودرر السمط في خبر السمط لابن الأبار، والأحكام الصغرى لابن العربي.

(٤٤) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، السنة العشرون، العدد الثامن، رمضان، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ص١٧، والعدد التاسع، شوال، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ص١٩، والعدد العاشر، محرم، ١٤٠٠هـ (١٩٧٩م)، ص٣٩.

(٤٥) المرجع السابق، س٢٠، ع٨، ص١٧.

(٤٦) قال ابن الأبار: "محمد بن حسن بن عطية بن غازي بن خلوف بن أحمد بن موسى بن هارون بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أحمد بن جابر بن عبدالله صاحب النبي ρ، وكتب هذا النّسب عن شيخنا الأزدي، وفيه نظر، من أهل سبتة، يُعرف بابن الغازي، ويكنى أبا عبدالله، روى عن أبي الفضل عياض، واختص بصحبته وملازمته، وسمع منه جُل روايته وتواليفه، أيضًا عن جده لأمه أبي الربيع سليمان بن سبع الخطيب، وأبي علي حسن بن سهل الخُشني، وأبي جعفر محمد بن حكم بن باق السرقسطي نزيل فاس، وأبي عبدالله محمد بن أحمد بن هاشم تواليفه، وله رواية عن غيرهم من شيوخ الأندلس، وعني بعقد الشروط، وولي القضاء، وله حظ من قرض الشعر، وكان من الثِّقة والعدالة بمكان، حدّث عنه من= =شيوخنا: أبو العباس العزفي، وأبو بكر بن محرز، وسمع منه بعد وفاة أبي محمد بن عبيدالله، وكانت في أول سنة ٥٩١، وتوفي في بضع وتسعين وخمسمائة" (ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، التكلمة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، لبنان، دار الفكر، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، ٢/١٦٠).

(٤٧) قال أعراب: "ابن سبع عُمِّر طويلًا حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، فهو قد عاش النصف الأخير من المائة الخامسة للهجرة، وأوائل السادسة؛ وإذا كان حفيده وتلميذه ابن الغازي قد ولد في حدود أوائل المائة السادسة، وتوفي في بضع وتسعين منها، أو على الأصح سنة (٥٩١هـ)، فلا يجوز أن يسمع من جده (ابن سبع) إلا بعد أن تصل سنه (١٦) ـ على الأقل ـ فإذا أضفنا إلى ذلك ما يذكره ابن سبع نفسه في مقدمة كتابه (شفاء الصدور) من أنه قضى في جمعه قرابة ثلاثين سنة أو تزيد، والشأن ألا يتصدّى العلماء للتأليف، إلا بعد أن تصل أعمارهم نحو الأربعين؛ فيجوز لنا أن نزعم بأن ابن سبع، وُلد في حدود

سنة ٥٢٠هـ تقريبًا[٤٨]، واكتفى الدكتور محمد يسف بنقل رأي أعراب[٤٩]؛ مما يعني أنه لم يجد جديدًا في أمره.

وقد يحق لباحث آخر أن يؤخر وفاته بناءً على النص نفسه، والمرجح عندي أنه عاش جزءًا من حياته بما لا يقلّ عن ربع قرن في القرن السادس الهجري[٥٠]؛ مما يجعله داخلًا في نطاق هذا البحث[٥١]، خاصة إذا أضفنا المسألة التالية، وهي: أن ابن سبع ذكر في مقدمة كتابه ((شفاء الصدور)) أنه قضى في جمعه ثلاثين سنة أو تزيد، ثم لخّص وأخرج الخصائص منه في كتاب مستقل، قال في مقدمة الخصائص: "لما أكملتُ بحمد الله وعونه كتابي الذي أسميته شفاء الصدور"[٥٢].

ويعني هذا أن الكتاب الذي أفرده بالخصائص متأخر، وقد يكون وضعه في آخر حياته؛ مما يقوّي الظن بدخوله نطاق البحث حتى من ناحية زمن التصنيف[٥٣].

وعلى كل تقدير لتاريخ وفاة ابن سبع، فإنه هو أول من أفرد الخصائص بالتصنيف، خلافًا لما ذهب إليه ابن طولون من أن ابن الملقن

(٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)، وتوفي في نحو (٥٢٠هـ / ١١٢٦م)، وقد عاش نيفًا وثمانين سنة" (أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٨، ص١٨).

(٤٨) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٨، ص١٨.

(٤٩) يسف، محمد، المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، المغرب، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، ٢٧٦/١.

(٥٠) فرواية ابن الغازي عن جده ابن سبع قد تكون متأخرة، وكذا ولادته التي لم تُحدد، كما أن وفاته في بضع وتسعين وخمسمائة، وتحديدها بأنها سنة (٥٩١هـ) هو من باب الترجيح عند أعراب وليس مقطوعًا بها، وكل هذه احتمالات للاستنباط أمام الباحثين.

(٥١) أما ما جاء في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، السيرة والمدائح النبوية، من أن وفاته في القرن الثامن (٥٧٦/١)، وفي موضع آخر قبل ٨٤٦هـ (٨٤٧/٢) فهو وهمٌ.

(٥٢) نسخة مكتبة الأوقاف العامة، بغداد، رقم (٢٨٤٢)، نقلًا عن أعراب، أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٨، ص٢٠، وفي نسخة دار الكتب، القاهرة، رقم (٢١٦٨) حديث، ٢أ، اختلاف فلم يذكر الناسخ المقدمة كاملة.

(٥٣) أي أن ابن سبع صنّفه في القرن السادس كذلك.

عمر بن علي (ت ٨٠٤هـ) هو أول من أفردها بالتصنيف(٥٤)، ولما يراه بعض المعاصرين من أن ابن الجوزي(٥٥) أو أن ابن دحية الكلبي(٥٦) أحدهما هو السابق في هذا الباب.

وإذا كان ابن سبع مالكي المذهب ـ وهو المرجح ـ ففيما ذهب إليه أحد الباحثين نظرٌ؛ بجعله ابن دحية هو المالكي الوحيد الذي أفرد الخصائص النبوية بالتصنيف(٥٧)، وهذا إذا صححنا القول بأن ابن دحية مالكي المذهب وليس ظاهريًّا أو شافعيًّا(٥٨).

ويكون المغاربة لهم السَّبق في إفراد الخصائص بالتصنيف، مالم يثبت أن أحدًا سبق ابن سبع.

وقد يتبادر للقارئ سؤال وجيه، وهو: لماذا لا يُعدُّ كتاب ابن سبع ((شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه)) هو الجدير بالذكر بدلًا من كتابه الثاني ((الخصائص))، خاصة أنه سابق له في التصنيف، وعنوانه صريح في ذلك؟

---

(٥٤) ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت ٩٥٣هـ)، مرشد المختار إلى خصائص المختار، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧ م)، ص١١.

(٥٥) مثل" فقيهي، عبدالحميد، جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين عرض تاريخي، بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤ م)، ص٣٠.

(٥٦) مثل: نصّار، عمار عبودي، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م، ص٣٨١، وإن كانت عبارته: "كان أقدم كتاب وصل إلينا"، ولكن ثبت في هذا البحث أن كُتبًا أخرى سبقته ووصلت إلينا.

(٥٧) العمري، أكرم، مقدمة كتاب الخيضري، محمد بن محمد بن عبدالله (ت ٨٩٢هـ)، اللفظ المكرم بخصائص= =النبي ρ، تحقيق محمد الأمين الجكني، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٥-١٤١٦هـ (١٩٩٥-١٩٩٦ م)، ١/صفحة هـ.

(٥٨) اختلفت الأقوال فيه، وأجاد محقق كتاب ابن دحية ((الآيات البينات)) فقال: "ولم أر فيما وقفتُ عليه من مؤلفات ابن دحية انتسابَه لمالكٍ أو للمالكية، بل ألفيتُه ردَّ على مالكٍ والمالكية في مسائل عدّة" (ص٥٣).

والجواب وردت الإشارة إليه مرارًا في هذا البحث، فالمصنفات القديمة يعترض تسمياتها عوامل كثيرة، إما سقط لصفحة العنوان، أو طمس، أو تصحيف، أو اجتهاد من أحد النُّساخ، أو أن المصنف لم يضع لكتابه عنوان أصلًا، أو أن من ذكر الكتاب من المصنفين الآخرين إنما اعتمد على حفظه، فذكره كما هو أو بما يُقاربه(٥٩)، ونجد أن هذا الكتاب جاءت له تسميات عدة، ففي إحدى نسخه: ((شفاء الصدور في إيضاح بيان الأمور))(٦٠).

وكُتب اسمه على نسخة أخرى للمخطوط: ((شفاء الصدور في فضل الأمة والصحابة وآل البيت))(٦١).

وجاء على صفحة عنوان كتاب الخصائص(٦٢) أنه مختصر من كتابه الكبير: ((شفاء الصدور في إيضاح البيان عن كشف حقائق البرهان في أعلام نبوة الرسول محمد بن عبدالله الباهرة))، ثم كلمة لم أتبينها.

ونقل أعراب(٦٣) هذه التسمية نفسها عن كشاف مخطوطات الأوقاف بناءً على ما جاء في النسخة المغربية، ولكن عنده ((وخصائصه)) بدل ((الباهرة)).

وفي نُسخ أخرى من كتاب الخصائص: ((شفاء الصدور في إيضاح البيان عن كشف حقائق البرهان في أعلام نبوة الرسول))(٦٤).

---

(٥٩) ينظر حول هذا الموضوع عند عسيلان، عبدالله عبدالرحيم، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)، ص٢٣٥.

(٦٠) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي، دبلن، إيرلندا، إعداد: آرثر ج. آربري، ترجمة: محمود شاكر سعيد، مراجعة: إحسان صدقي العمد، مآب، مؤسسة آل البيت، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، ١٢٠١٤/٢، رقم الحفظ (٥٢٩١).

(٦١) الخزانة الملكية (الحسنية)، الرباط، المغرب، رقم الحفظ (٥٧٣٣).

(٦٢) نسخة دار الكتب، القاهرة، رقم (٢١٦٨) حديث.

(٦٣) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٩، ص١٩.

(٦٤) مؤسسة آل البيت، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، السيرة والمدائح النبوية، مآب، ١٤١٧هـ (١٩٩٦ م)، ٨٤٧/٢.

وذكره الزرقاني[٦٥] ((شفاء الصدور في إعلام نبوة الرسول ρ وخصائصه))، ومثله الكتاني[٦٦].

وجميع هذه التسميات متقاربة، فهي تدلُّ على أن الكتاب في أعلام النبوة وخصائص الرسول ρ، سوى عنوان واحد والذي يذكر فضائل الأمة والصحابة وآل البيت.

وفي أغلب الأحيان فإنهم قديمًا لا يُدققون كثيرًا في عناوين كتبهم لتتطابق مع مضمونها، وقد مرّ بنا أمثلة في دلائل النبوة والتي شملت جميع تفاصيل السيرة.

ومثلها هذا الكتاب، فبعد الاطلاع على بعض الأجزاء الموجودة من الكتاب يتضح أنه كتاب شامل لما هو أوسع من السيرة، فضلًا أن يكون في السيرة وحدها، فالكتاب يقع في خمسة عشر مجلدًا، وقد درس سعيد أعراب المخطوطات المتوفرة منه دراسة متأنية، فلخّص مضمون الكتاب بقوله: "وهو موسوعة في الحديث والسير، جمع صنوفًا من العلم وألوانًا من الأدب"[٦٧]، "وهو ليس كتاب سيرة فقط، بل هو كذلك كتاب حديث، وعلوم القرآن، ولم ينس أن يُضيف إلى الكتاب أدبيات لها أهميتها"[٦٨]، ويمكن إجمال الموضوعات التي تناولها فيما يلي: ١ـ أحاديث في فضائل الأعمال. ٢ـ أعلام نبوته ε. ٣ـ خصائصه عليه السلام. ٤ـ مناقب الصحابة[٦٩]. وبنحو هذا وصف محمد يسف الكتاب بناءً على القطع المتوفرة من المخطوط[٧٠].

---

(٦٥) الزرقاني، محمد بن عبدالباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، ٧/٢٠٠.

(٦٦) الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس (ت ١٣٤٥هـ)، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، اعتنى بها: محمد الزمزمي الكتاني، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، ص٢٠٢.

(٦٧) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٨، ص١٨.

(٦٨) المرجع السابق، س٢٠، ع٩، ص٢٥.

(٦٩) المرجع السابق، س٢٠، ع٩، ص٢٠.

(٧٠) المصنفات المغربية في السيرة النبوية، ١/٢٧٨.

ووصفه من قبلُ ابن النحاس، فقال في مقدمة كتابه ((مشارع الأشواق)) وهو يعدِّدُ مصادره: "ومنها جملة من كتاب يسمى ((شفاء الصدور)) للخطيب سليمان بن سبع السبتي، ذكر أنه جمعه في قريب من ثلاثين سنة، في خمسة عشر مجلدًا، ووقفتُ عليه بثغر الإسكندرية في نحو أربعة أسفار، يشمل على أحاديث في فضائل الأعمال، وشمائل النبوة، وغير ذلك، قد وضع فيه مؤلفه من عجائب الغرائب أصولًا وفروعًا، وجمع فيها ما دبَّ ودرج، فأوعب وأوعى، أحاديثه عرية عن الإسناد، خالية من التصحيح والتضعيف عما يراد"(٧١).

يُضاف إلى ما سبق، أن القسم المتعلق بالخصائص من كتاب ((شفاء الصدور)) مفقود إلى الآن، ولا بد لدراسته من الاطلاع عليه، وسترد إشارة إلى بعض النقول عنه في المصادر الأخرى.

وبما أن الكتاب الآخر لابن سبع ((الخصائص)) هو تلخيص لما في كتابه ((شفاء الصدور))، فدراسته تغني عن الكتاب الكبير، والفارق بين الكتابين في التوسع أو الاختصار.

وكتاب ((الخصائص)) لخّصه كما سبقت الإشارة إليه من كتابه الكبير ((شفاء الصدور))، وورد اسمه على صفحة المخطوط في إحدى نسخه(٧٢) ((المختصر من خصائص النبي ρ وما خصّه الله عز وجل به دون سائر البشر))، وفي نُسخ أخرى(٧٣) ((المختصر في خصائص النبي ρ))، وينقل منه برهان الدين الحلبي فيقول: "ذكره صاحب شفاء الصدور في مختصره"(٧٤).

---

(٧١) ابن النحاس أحمد بن إبراهيم (ت ٨١٤هـ)، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، تحقيق: إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م)، ١/٧٤.

(٧٢) نسخة دار الكتب، القاهرة، رقم (٢١٦٨) حديث.

(٧٣) مؤسسة آل البيت، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، السيرة والمدائح النبوية، ٢/٨٤٧.

(٧٤) الحلبي، علي بن إبراهيم (ت ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ، ١/٣١٣، ٣١٧.

وتوجد من الكتاب عدة نسخ خطية في مكتبات العالم(٧٥).

ولعل ابن الجوزي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي(٧٦) (ت ٥٩٧هـ)، هو الذي جاء بعد ابن سبع فأفرد الخصائص النبوية بالتصنيف، فله كتاب ((الدُّر الثمين في خصائص النبي الأمين))(٧٧)، ويأتي بعده ابن دحية الكلبي أبو الخطاب عمر بن الحسن(٧٨) (ت ٦٣٣هـ) وكتابه ((نهاية السول في خصائص الرسول))(٧٩).

---

(٧٥) منها نسخة مكتبة الأوقاف العامة، بغداد، رقم (٢٨٤٢)، وقد حاولت الحصول على هذه النُّسخة؛= =لأنها أضبط النُّسخ فيما اتضح لي، ولكن حين إعداد هذا البحث كان أمر المكتبة يكتنفه الغموض بعد الغزو الأمريكي الأخير للعراق، ثم بعد أن استقرت الأمور نوعًا ما حاولت مجددًا وتواصلت مع بعض المسؤولين في المكتبة، ولكن طُلب مني مبلغ كبير، مع عدم ثقتي بتوفيره لي، كما توجد نسخة دار الكتب، القاهرة، رقم (٢١٦٨) حديث، ونسخة بخط مغربي في مكتبة الحرم النبوي، المدينة، رقم ٢١٩/٣ سيرة، ولكن يغلب عليها الطمس وعدم الوضوح، وهذه النسخة لم تُذكر في فهرس مؤسسة آل البيت، وقد حصلت على هاتين النُّسختين ولله الحمد، ونسخة جامعة برنستون، ونسخة الظاهرية بدمشق (ينظر عنهما الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط، السيرة والمدائح النبوية، ٧٤٨/٢).

(٧٦) مثله لا يُترجم له بكلمات يسيرة، وقد كُتب حوله الكثير، وأغلب من حقق كتبه ترجموا له، ولعل من أوسع من كتب عنه من المعاصرين: محمود أحمد القيسية، الإمام ابن الجوزي وكتابه الموضوعات، وهي أطروحة دكتوراه مطبوعة، لاهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ومقدمة تحقيق محمد لطفي الصباغ لكتاب ابن الجوزي ((القصاص والمذكرين))، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ (١٩٩٨ م).

(٧٧) إسماعيل باشا، هدية العارفين، ٥٢١/١.

(٧٨) شهرته تغني عن ترجمته، ومن أوسع من ترجم له من المعاصرين: وجَّاج، أنس، أبو الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي الحافظ الرَّحَّال، الرباط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، ومقدمة تحقيق محمد أمحزون لكتاب ابن دحية ((أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين))، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ومقدمة تحقيق جمال عزُّون لكتاب ابن دحية ((الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ρ من المعجزات))، الشارقة، مكتبة العمرين العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

(٧٩) طبع بتحقيق: عبدالله الفادني، ومراجعة: محمد محيي الدين الأصفر، قطر، مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف بقطر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)، ثم طبع بتحقيق أحمد فريد

ولا يمكن الجزم بأن أحدهما سابق في هذا الباب؛ لمعاصرتهما لبعض، وإن كان ابن الجوزي أكبر من ابن دحية بحوالي ثلاثين سنة(٨٠)، وأقدم منه وفاة، وهو شيخٌ له كذلك، إذ أخذ ابن دحية عن ابن الجوزي(٨١).

وسبب عدم القطع في هذه المسألة هو فقدان كتاب ابن الجوزي، فلا يُعلم له وجود حتى الآن(٨٢)، ولو كان موجودًا لأمكن الاستدلال ببعض القرائن في ترجيح تقدُّم أحدهما على الآخر، وكذا فإن الجزم بنسبة كتاب إلى مصنفه يحتاج إلى أدلة متعددة، ولا نجد ذِكرًا لكتاب ابن الجوزي إلا في ((هدية العارفين))، ومثله التأكد من صحة عنوان الكتاب، وتطابق

المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، وهذا العمل ليس بتحقيق، وإنما هو نشرٌ للطبعة قبله من دون الهوامش.

(٨٠) ولد ابن الجوزي على الراجح سنة ٥١١هـ، وإن كان ثمة اختلاف يسير في ولادته تبدأ من سنة ٥٠٨هـ (ينظر ما ذكره تلميذه المنذري: زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت٦٥٦هـ)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، ٣٩٤/١، وتراجع مصادر الترجمة في حاشية المحقق)، ويراجع كذلك ما ذكره ابن خلكان من رواية عنه في تاريخ ولادته (ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٠٠ - ١٩٩٤م، ١٤٢/٣). أما ابن دحية فاختلف في عام ولادته بين ٥٤٤هـ إلى ٥٤٨هـ، والفارق قليل (ينظر عند ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٥٠/٣، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، ٣٩٤/٢٢، والمقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، ١٠٣/٢).

(٨١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٩٤/٢٢ ونقله عن ابن النجار، وتذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، ١٤٢١/٤ وصرّح الذهبي به، والمقري، نفح الطيب ١٠٤/٢.

(٨٢) لم يذكره العلوجي، عبدالحميد، في كتابه: مؤلفات ابن الجوزي، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، ولا السلامة، ناصر، في كتابه: معجم مؤلفات ابن الجوزي المخطوطة بمكتبات المملكة العربية السعودية، مصر، دار الفلاح، والرياض، دار أطلس، وليس لكتاب ابن الجوزي ذكر في الفهارس الأخرى حسب اطلاعي.

محتواه مع عنوانه، أو معرفة شيء عنه من خلال النقولات عنه في المصادر الأخرى، وغير ذلك مما يعلمه المشتغلون بتحقيق المخطوطات.

وبما أن ابن دحية أخذ عن ابن الجوزي، والأخير متقدم عليه بالولادة، فلعله السابق بهذا الباب، ولكن لا نجد أن ابن دحية ينقل في كتابه ((نهاية السول)) عن ابن الجوزي شيئًا، مع أنه شيخه، وقد حرص على ذكر كثير من موارده في ثنايا كتابه، مما قد يُستدل به على سبق ابن دحية، ولكن قد يُعترض على هذا بعدم اطلاع ابن دحية على كتاب ابن الجوزي، خاصة مع ضخامة مصنفات ابن الجوزي وكثرتها، وهو اعتراض وجيه.

وزاد الأمر تعقيدًا أن ابن دحية لم يذكر زمن فراغه من تصنيفه هذا، ومخطوطات نهاية السول الموجودة ليس فيها ما يُستدل به على تاريخ نُسخة المصنف الأولى كما في بعض المخطوطات الأخرى.

ولا يعني تقدم الوفاة مع المعاصرة السَّبقَ في التصنيف كما قد يهم البعض، ولا بد للقطع في هذا الأمر من إقامة الدليل على تحديد فراغ المصنف من كتابه عبر استدلالات متعددة مذكورة في كتب قواعد التحقيق.

وفي زمننا الحاضر تبرز هذه الظاهرة بشكل جليّ، فكم من المؤلفين الذين سبقوا في الكتابة غيرهم ممن يكبرهم سنًا ويتقدّمهم وفاةً واتحدوا في نوع التأليف، ولو طبقنا مقياس الوفاة أو كِبر السِّن؛ لوقعنا في غلط بيّن، ولغمطنا أهل السَّبق حقهم العلمي والأدبي.

ثم إن لابن الجوزي كتاب آخر هو ((الوفا بتعريف فضائل المصطفى ρ))، وإذا كان عنوانه يوحي بدخوله في موضوع الخصائص، إلا أن الكتاب شامل لكل ما يتعلق بالرسول ρ، من قبل ولادته إلى وفاته، فهو شبيه بكتب السيرة العامة، وإن ركز فيه مصنفه على ما يمس الرسول ρ، وقد عقد في الكتاب بابًا عن خصائصه عليه السلام، ومجموع أبوابه العامة (٣٤) بابًا، حاول أن يُبرز من خلالها فضل الرسول ρ، ولكنه جمع فيه الدلائل والمعجزات والشمائل والأخلاق والفضائل والخصائص ومعلومات مفرقة في السيرة عامة، وقد قال في مقدمته: "وإني رأيتُ خلقًا من أئمتنا لا يُحيطون علمًا بحقيقة فضيلته، فأحببتُ أن

أجمع كتابًا أُشير فيه إلى مرتبته، وأشرح حاله من بدايته إلى نهايته، وأُدرج في ذلك الأدلة على صحة رسالته، وتقدمه على جميع الأنبياء في رتبته، فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه في تربته ذكرت فضل الصلاة عليه، وعرض أعمال أمته، وكيفية بعثته، وموقع شفاعته، وأخبرتُ بقربه من الخالق يوم القيامة ومنزلته".

وقد يكون هذا الكتاب هو نفسه ((الدُّر الثمين))، وإنما تم تصرفٌ في العنوان من قِبل بعض الناسخين، وإن كنتُ لا أميل إلى هذا، إذ إن عبدالرحمن بن عبدالسلام الصفوري نقل في كتابه ((نزهة المجالس ومنتخب النفائس))، من كتاب سماه ((الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين)) ولم يذكر مصنفه، والمحتمل أن يكون كتاب ابن الجوزي، وجُل النصوص التي نقلها لا توجد في كتاب ابن الجوزي ((الوفا بتعريف فضائل المصطفى))؛ مما يعني أنها من كتابه الآخر، وهذا إذا سلمنا بأن الكتاب الذي نقل منه هو لابن الجوزي وليس لمصنف آخر ــ وسيأتي الكلام على هذه النقول ــ وتبقى الاحتمالات واردة ومفتوحة.

أما ابن دحية الكلبي فله كتاب آخر في الخصائص، ولكنه أدقّ وأخص، إذ جعله في أعضاء رسول الله ε، واسم الكتاب ((الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ε من المعجزات))[٨٣]، وله أسماء أخرى، ويأتي الحديث عنه في مكانه، وصنّفه ابن دحية في آخر حياته، ويُرجِّح محقق الكتاب أنه بين عامي ٦٣٠ و ٦٣٣ هـ ؛ مما يعني أن المصنفات الآتية الذكر قد تكون سابقة لهذا الكتاب.

فالضياء المقدسي[٨٤] (ت ٦٤٣ هـ) وله كتاب ((ذكر ما أُعطي نبينا محمد ε دون الأنبياء))، والكتاب مخطوط بالظاهرية، بخط المصنف[٨٥].

---

(٨٣) طبع بتحقيق: جمال عزّون، الشارقة، مكتبة العمرين العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

(٨٤) محمد بن عبدالواحد بن أحمد السعدي المقدسي الدمشقي الحنبلي، ولد سنة (٥٦٩هـ)، أجاد الذهبي في ترجمته ومما قال: الشيخ، الإمام، الحافظ، القدوة، المحقق، المجوِّد، الحجة، بقية السَّف، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، وحصّل الأصول الكثيرة، وجرّح وعدّل، وصحّح وعلّل، وقيّد وأهمل، مع الدِّيانة والأمانة، والتقوى، والصيانة، والورع، والتواضع، والصدق والإخلاص، وصحة النقل، ولم يزل ملازمًا للعلم والرواية والتأليف إلى أن مات، وتصانيفه نافعة مهذّبة، أنشأ مدرسة إلى جانب الجامع المظَفّري، وكان يبني فيها

وذكـروا لكمـال الـدين عبدالواحـد بـن عبـدالكريم ابـن خطيـب الزملكـاني[٨٦] (ت ٦٥١هـ) ((رسـالة فـي خصـائص النبـي ρ))، وهـي

بيده. وقال ابن كثير: وقد وقف كتبًا كثيرة عظيمة عليها، سمع الحديث الكثير، وكتب كثيرًا وطوّف وجمع وصنّف وألف كتبًا مفيدة حسنة كثيرة الفوائد (سير أعلام النبلاء ١٢٦/٢٣ وتنظر مصادر ترجمته بحاشيته، وتذكرة الحفاظ، ١٤٠٥/٤، وابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، ٢٨٥/١٧)، وتوجد ترجمة وافية للضياء عند حسناء بكري نجار في أطروحتها للدكتوراه وهي بعنوان: ((الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث))، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، فرع الكتاب والسنة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩ م)، ولم تنشر بعد، ص٧٩ وما بعدها، وذكرت (٤٧) كتابًا ترجمت للضياء.

(٨٥) الظاهرية، مجموع ١١٠ (٢٠٤ - ٢١٣)، وعندي مصورة من المخطوط، والعجيب أن الدكتورة حسناء بكري نجار في أطروحتها السابقة استقصت جميع مصنفات الضياء، ولم تذكر هذا الكتاب، في حين أن محمد مطيع الحافظ محقق كتاب فضائل بيت المقدس للضياء، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ذكره في دراسته عن المصنف، ص٢١، وقد اطلعت الدكتورة حسناء على هذا التحقيق، فسبحان من لا يضل ولا ينسى.

(٨٦) كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف الدمشقي الشافعي، ابن خطيب الزملكاني، نسبة إلى زَمْلَكَان: قرية بغوطة دمشق، قال أبو شامة: "كان فاضلًا، عالما، خبيرًا، متميزًا في علوم متعددة، وتولى= =قضاء صرخد، ودرّس ببعلبك، ثم توفي بدمشق سنة (٦٥١هـ)، ودفن بمقابر الصوفية"، وقال الذهبي وغيره: صاحب علم المعاني والبيان، كان قوي المشاركة في فنون العلم، خيّرًا، متميزًا، ذكيًّا، سريًّا، وهو جد كمال الدين محمد بن علي الزملكاني، المشهور، المتوفى سنة (٧٢٧هـ)، والمعلومات عن الزملكاني في المصادر قليلة (ينظر عند: أبي شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، الذيل على الروضتين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، عناية: السيد عزت العطار، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م، ص١٨٧، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العربية، ٢٦٧/٣، والسبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ٣١٦/٨، والعيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك)، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ٨٣/١، والعامري، يحيى بن أبي بكر الحرضي (ت

مخطوطة بدار الكتب المصرية[٨٧]، وذكرها الزركلي[٨٨]، وعنه ذكرها بعضهم[٨٩]، وكذا هي مذكورة في الفهرس الشامل[٩٠].

ولكن هنا مسألتين:

الأولى: بعد أن اطلعت على المخطوطة تبيّن لي أن الرسالة لكمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد الزملكاني (ت ٧٢٧هـ)، أي أن من نُسبت إليه هو جده، وهو اجتهاد من المفهرسين فيما يبدو.

الثانية: أن هذه الرسالة ليست تصنيفًا مُستقلًا، وإنما مستلة من كتاب ((تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى)) للكمال محمد بن علي الزملكاني[٩١]، فقد جاء في أول الرسالة: "قال الإمام العلامة أحد من وصف بالاجتهاد كمال الدين الزملكاني الشافعي في كتابه المُسمى تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى"[٩٢]، والرسالة صغيرة الحجم في أربع لوحات.

٨٩٣هـ)، غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق: محمد ناجي العمر، إشراف عبدالرحمن الإرياني، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، ص٥٢٧، والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، ١١٩/٢، وابن العماد، عبدالحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ٢٥٤/٥، وإسماعيل باشا، هدية العارفين، ٦٣٥/١، والزركلي، الأعلام ٣٢٥/٤).

(٨٧) دار الكتب، القاهرة، ١١٩/١ (٥٢١ مجاميع)، وحصلت على مصورتها ولله الحمد والمنة.

(٨٨) الأعلام، ١٧٦/٤.

(٨٩) مثل: شعبان صلاح في تحقيقه لكتاب المجيد في إعجاز القرآن المجيد، للزملكاني، القاهرة، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ (١٩٨٩م)، ص١١، وأسماء بنت محمد الحبيب، تحقيق كتاب غاية المحصّل في شرح المفصّل، للزملكاني، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع اللغة والنحو والصرف، ١٤٢٤هـ، ص٩.

(٩٠) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، السيرة والمدائح النبوية، ٣٦٠/١.

(٩١) حَقق الكتاب: عبدالعزيز بن عبدالله الجفير، وهي أطروحته للدكتوراه، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم العقيدة، ١٤٢٣هـ، ولم تُطبع بعد.

(٩٢) المخطوط، ص١ أ.

والكلام في كتاب ((تحقيق الأولى))[٩٣]، وهو جزء من كلام المصنف عن تفضيل النبي ρ على سائر الأنبياء.

وذكر إسماعيل باشا كتاب ((مطلب السول في مناقب الرسول ρ))، لأبي سالم محمد بن طلحة بن محمد بن حسن القرشي النَّصِيبى (ت ٦٥٢هـ)[٩٤]، لكن اسم الكتاب الصحيح ((مطلب السؤول في مناقب آل الرسول))[٩٥]، والكتاب ليس فيه شيء من فضائل الرسول ρ، وإنما في مناقب الأئمة الاثني عشر عند الشيعة، وابن طلحة قال عنه الذهبي: "وقد دخل في شيء من الهذيان والضلال، وعمل دائرة وادّعى أنه يستخرج منها علم الغيب وعلم الساعة"[٩٦]، وهذا على فرض صحة نسبة الكتاب لهذا المصنف.

وللعز بن عبدالسلام[٩٧] (ت ٦٦٠هـ) كتابه المشهور ((منية السول ــ أو بداية السول ــ في تفضيل الرسول))، وقد طُبع عدة مرات[٩٨]، والكتاب في جزء من الخصائص، وهو فضائل الرسول ε.

---

(٩٣) ص٤٤١-٤٤٩.

(٩٤) إيضاح المكنون، ٤٩٩/٤، وهدية العارفين، ١٢٥/٢.

(٩٥) طبع الكتاب عدة طبعات، منها تحقيق: عبدالعزيز الطبطبائي، بيروت، مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٩٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ (١٩٩٣ م)، ١٣٥/٤٨، وتنظر مصادر ترجمته بحاشيته.

(٩٧) أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السُّلمي، الملقب بسلطان العلماء، وشهرته العز بن عبدالسلام، وهو أشهر من أن يُترجم له، وكتب عنه القدماء والمحدثون، ومن أوسع من ترجم له من المتقدمين، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢٠٩/٨، ومن المعاصرين لعل من أفضل الكتب عنه، أطروحة ماجستير، فودة، عبدالعظيم، عز الدين بن عبدالسلام وأثره في الفقه والأصول، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٧٦ م، وأطروحة دكتوراه الوهيبي، عبدالله بن إبراهيم، العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، وكتاب محمد الزحيلي، العز بن عبدالسلام سلطان العلماء وبائع الملوك، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

(٩٨) طبع عدة طبعات أشهرها: تحقيق عبدالله بن محمد الصديق الغماري، وتحقيق صلاح الدين المنجد، وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ويأتي الحديث عنها.

وذكر حاجي خليفة ممن ألف بالخصائص النبوية يوسف بن موسى الجذامي الأندلسي المعروف بابن مسدي المتوفى سنة (٦٦٣هـ)[٩٩]، وتبعه على ذلك إسماعيل باشا في موضع من كتابه هدية العارفين[١٠٠]، وذكرا له كتاب ((الخصائص النبوية))[١٠١]، أو ((خصائص النبي ε))[١٠٢].

ولكن هذا فيه ملاحظتان:

الأولى: الاسم الصحيح لابن مسدي هو: محمد بن يوسف بن موسى الجذامي الغرناطي[١٠٣]، المشهور بابن مُسْدي[١٠٤] (ت ٦٦٣هـ)، وإن ذكره إسماعيل باشا مرتين أُخريين باسمه الصحيح[١٠٥].

---

(٩٩) كشف الظنون، ٧٠٥/١.

(١٠٠) ٥٥٥/٢.

(١٠١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٠٥/١، ذكر ابن مسدي ممن صنف في الخصائص النبوية، ولم يذكر= =اسم الكتاب، وإسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ٥٠٨/٤، وهدية العارفين، ٥٥٥/٢.

(١٠٢) هدية العارفين، ١٢٨/٢.

(١٠٣) الحافظ العلامة الرَّحال، سمع الكثير، وكان من بحور العلم، ومن كبار الحفاظ، له تصانيف كثيرة، وتوسّع في العلوم وتفنن، وله كتاب في المناسك يدل على تبحره في الحديث والعلم، وانتقى على المشايخ، وظهرت فضائله، وجاور بمكة، وكان خطيبًا فصيحًا يخطب بالحرم، وكان يُصاحب الزيدية، وفيه تشيع وبدعة، وإن كان له كتاب ((مناقب الصديق))، وقد تُكلِّم فيه فكان يُدلس الإجازة، وله أوهام، وضعفه جماعة (الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٤٤٨/٤، وتاريخ الإسلام، ١٥٨.١٥٧/٤٩، وميزان الاعتدال، ٧٣/٤، في نقد الرجال، تحقيق: علي البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م)، وعلق ابن حجر على من قال بأنه يُدلس في الإجازة، فقال: "ليس هذا بقادح في صدقه، وإنما يُعاب بأنه أوهم في أنه خرجها وتعب في تخريجها، ولو كان ادعى السماع منها لِما لم يسمع لكان كذّابًا، وحاشاه من ذلك" (لسان الميزان، ٤٣٨/٥)، وأثنى عليه المقري ومما قاله: شيخ السنة، وحامل راياتها، وفريد الفنون، ومحكم آياتها... وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي، وكلاهما في غاية الجودة، ومثل هذا يُعدّ نادرًا، توفي شهيدًا مطعونًا من أناس كانوا يحسدونه" (نفح الطيب، ٥٩٤/٢.٥٩٥).

(١٠٤) كذا ضبطه الذهبي في تاريخ الإسلام، ١٥٧/٤٩، لكنه قال في تذكرة الحفاظ (١٤٤٨/٤): "مسدي: بالفتح وياء ساكنة، ومنهم من يضمه وينوّن"، وقال اليافعي: "بفتح الميم وسكون السين وكسر الدال

الثانية: تتبعت ترجمة ابن مسدي، فلم أجد من ذكر له كتابًا في الخصائص، وظهر لي أنه اشتبه عليهما بشخص آخر، هو يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح الجذامي الرُّنْدي(١٠٦) (ت ٧٦٧هـ)، وله كتاب في الخصائص النبوية(١٠٧)، فهو غير داخل في موضوع البحث.

وتوجد مخطوطة باسم ((كتاب في خصائص النبي ρ))(١٠٨)، ومصنفها مجهول، وكان حيًّا في القرن السابع الهجري.

ومما تقدم يلاحظ أن المشارقة تواكبوا مع المغاربة في إفراد الخصائص بالتصنيف، ولم يتميز أحدهما عن الآخر، بل حتى في عدد

المهملتين (اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ١٥٨/٤)، وحكى ابن ناصر الدين ضم الميم وفتحها (ابن ناصر الدين، محمد بن عبدالله (ت ٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣هـ، ١٤٦/٨.

(١٠٥) إيضاح المكنون، ٥٠٨/٤، وهدية العارفين، ١٢٨/٢.

(١٠٦) من أهل رُندة بالأندلس، أثنى عليه لسان الدين ابن الخطيب ومما قال: "حسن اللقاء، طرف في التخلّق والدماثة وحسن العشرة، أديب ذاكر للأخبار، طلعة، يكتب ويشعر، سيال الطبع معينه"، وأورد له اشعارًا، وذكر من تصانيفه أربعة عشر كتابًا، ولي القضاء ببلده رندة وغيرها (لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبدالله الغرناطي (ت٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ٣٢٢/٤-٣٣٣).

(١٠٧) ذكره لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٣٣٣/٤، والمقري، نفح الطيب، ١٤٥/٦، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، ٢٥٣/٦، وعبدالحي الكتاني، ابن عبدالكبير الحسني الإدريسي (ت ١٣٨٢هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ٦٠٦/٢، وإسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ٥٥١/٤، وهدية العارفين، ٥٥٧/٢، وفي تسميته بعض الاختلاف عندهم، وإن كان مصدرهم ابن الخطيب، سوى عبدالحي الكتاني الذي يرويه بالإسناد إلى مصنفه.

(١٠٨) رئيس الكتاب، إستانبول (النوادر) ١٤٤/٣ (٥٥٢)، في (٩٥) ورقة (الفهرس الشامل، ٧٧٠/٢).

المصنفات، فإنه متقارب إن لم يكن متساويًّا، حسب ما يُعلم من هذه المصنفات، هذا إذا عددنا ابن دحية من المغاربة بحكم المولد والنشأة، وإلا "فإن كان بالغرب منبته، ففي الشرق ازدهاره"(١٠٩)، فقد جال فيه، ونال الحظوة، وسكن في دياره(١١٠)، ومات في القاهرة(١١١)، وصنّف أغلب كتبه استجابة لرغبة الملك الكامل بمصر(١١٢)، وآخر كتاب ألفه كان في مصر، وهو ((الآيات البينات)) الذي هو في الخصائص(١١٣)، وسيأتي الحديث عنه.

كما يلاحظ أن الكتابة في الخصائص وإن بدأت واشتهرت بها كتب الفقه الشافعي المتقدمة بداية من الشافعي نفسه، إلا أن أصحاب المذاهب الأخرى كان لهم السبق في إفرادها بالتصنيف، والتوسع فيها تفريعًا وتنويعًا، وربطها بالدلائل والمعجزات والفضائل أكثر من حصرها بالفقه.

المبحث الرابع: نظرة على المصنفات في الخصائص في القرنين السادس والسابع الهجريين

كتاب ((شفاء الصدور)) وكتاب ((مختصر الخصائص)) لابن سبع السَّبتي

تقدّم الحديث عن هذين الكتابين، وعن وجود نسخ خطية منهما، وعلاقتهما ببعض، ووصف محتوى الكتاب الكبير ((شفاء الصدور))،

---

(١٠٩) مقدمة إبراهيم الإبياري لكتاب ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وحامد عبدالمجيد وأحمد بدوي ومراجعة: طه حسين، بيروت، دار العلم للجميع، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م)، ص س.

(١١٠) تنظر رحلاته عند: وجَّاج، أبو الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي الحافظ الرَّحَّال، ص٣٦-٧٠، ومقدمة تحقيق محمد أمحزون لكتاب أعلام النصر المبين لابن دحية، ص٢٢-٢٤.

(١١١) ابن النجار، محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ)، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، ٤٢/٥، وجل المصادر على ذلك، تنظر في حاشية أعلام النصر المبين، ص٢٢.

(١١٢) لعل أفضل دراسة عن مصنفات ابن دحية مقدمة جمال عزّون في تحقيقه لكتاب ((الآيات البينات))، ص٦٢-١٦٩.

(١١٣) تنظر مقدمة محقق الكتاب، ص١٧٦-١٧٧.

والإشارة إلى أن القسم الخاص بالخصائص منه مفقود، وأن وجود الكتاب الذي أفرد به ابن سبع الخصائص ولخصه من كتابه الكبير يكفي لإعطاء تصور عنه.

وكتاب ((مختصر الخصائص)) جعله ابن سبع في عشرة أبواب، ويورد أحاديث كل باب مجردة من الأسانيد، وقد يُحيل على مصادره ومنها كتب الحديث، مثل: الصحيحين، ومسند أحمد، وعبدالرزاق في مصنفه، والبزار صاحب المسند، والآجري صاحب كتاب الشريعة، والسمرقندي صاحب بستان العارفين، وتنبيه الغافلين، والخركوشي صاحب شرف المصطفى(١١٤)، وسيرة ابن إسحاق(١١٥)، وصرّح بأنه رجع إلى كتب السابقين وعلماء أهل الكتاب(١١٦).

"وابن سبع في أكثر أبحاثه وموضوعاته لا يقتضب القول اقتضابًا، بل يُعطي الموضوع حقه، ويستوفيه من جميع جوانبه، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة، ويصل أحيانًا إلى حد الإغراب في الأصول والفروع، على حد تعبير ابن النحاس"(١١٧)، ومع توسعه فإنه يُحيل كثيرًا على كتابه الكبير ((شفاء الصدور)) للتوسع في الموضوع(١١٨).

أما أسلوبه في كتابيه، فكما قال أعراب: "أسلوب علمي رصين، وربما تأنّق في بعض الأحيان، وقد يكون الموضوع يقتضي ذلك، فيخرج عن الأسلوب المرسل إلى النمط المسجوع، وهو سجع غير متكلف، ينم عن عفو الخاطر، وصفاء الطبع"(١١٩).

ولو رجعنا إلى المصادر التي نقلت أو استفادت من كتابي ابن سبع المتقدمين، نجد أن لهما حظًّا وافرًا عند العلماء، وقد عدّد المحقق أعراب

---

(١١٤) ينظر مثلًا مختصر الخصائص، ص٢ ب، ص٨ أ، ٢٣ أ، ٣٨ أ، ب، ٣٩ أ، ب، ٤٠ أ، ب، ٤١ أ، ٤٢ أ، ٤٥ ب، ٥١ ب، ٨٥ ب.

(١١٥) مختصر الخصائص، ص٣ أ.

(١١٦) مختصر الخصائص، ص٧ ب.

(١١٧) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٩، ص٢٠.

(١١٨) مختصر الخصائص، ص٧ ب، ١١ أ، ب، ٢٧ ب، ٣٧ ب، ٨٢ ب.

(١١٩) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٩، ص٢٤.

بعض من استفادوا من كتاب ((شفاء الصدور))، ورأى أن القاضي عياض تأثر به شكلًا وموضوعًا في كتابه ((الشفا))، وإن لم يذكره في مصادره، وذكر أعراب أدلة على قوله(١٢٠)، ووافق محمد يسف على هذا الرأي ونقل جُل كلام أعراب(١٢١)، وهذا يعزز ما تقدّم قوله بأهمية رصد الحركة العلمية؛ لمعرفة السابق من اللاحق في مجالات العلوم والفنون، حتى يُحفظ لأهل التقدم حقهم العلمي والأدبي؛ وقد حرص سلفنا على هذا الرصد بطرائق شتى، ومنها كتب الأوائل، والفهارس، والمشيخات، ونحوها.

وذكر السخاوي أن بعض العلماء اختصره(١٢٢)؛ مما يدلُّ على قيمته عندهم.

ولكن توجد بعض المآخذ على كتابي ابن سبع، ومن ذلك ما ذكره ابن النحاس من أنه حشا كتابه ((شفاء الصدور)) بالغرائب، وجمع فيه ما هبّ ودرج، مع تجريد أحاديثه من الإسناد، وخلوه من التصحيح والتضعيف(١٢٣).

ويختلف الباحثون في تقويمهم لمثل هذه المآخذ، فقد اعتذر أعراب لابن سبع بأن علماء غيره جردوا كتبهم من الإسناد، بل أكثر علماء السيرة على ذلك؛ لصعوبة التطويل التي تواجههم في طُرائق الإسناد، وخاصة في مثل كتاب ابن سبع الضخم، وأما إغرابه؛ فلأن جملة من أحاديثه في فضائل الأعمال، وأكثر العلماء جوزوا العمل بالضعيف فيها، وبعض أخباره في أوصاف الناس وأيامهم وسيرهم ونحو ذلك مما يُتسامح في روايته عند كثير من العلماء، إلا ما كان موضوعًا، أما عدم

---

(١٢٠) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٩، ص٢٥ وما بعدها، و ع١٠، ص٤١.

(١٢١) المصنفات المغربية في السيرة النبوية، ٢٧٩/١.

(١٢٢) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الإلمام في ختم سيرة ابن هشام، تحقيق: حسين الحدادي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ص٧٩، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مطبوع مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، ترجمة: صالح العلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٠٣هـ (١٩٨٣ م)، ص٥٣٧.

(١٢٣) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ٧٤/١.

حكمه على الأحاديث، فربما كان ذلك صعوبة التطويل، وإن لم يكن مُبررًا[١٢٤].

وإن كانت هذه الأعذار مقبولة بالإجمال، لكن يُعترض عليها بأن فعل البعض بإهمال الإسناد ليس عُذرًا مقبولًا، فهو قدح في صاحب الكتاب عند العلماء السابقين، ولا يصح بأن أكثر علماء السيرة أهملوا الإسناد، بل كتبهم تطفح بالأسانيد وإن أهملوها في بعض الروايات، ولكن لأسباب تخصُّ الخبر غالبًا.

وأما خشية التطويل، فإن ساغ لكتاب ابن سبع الكبير ((شفاء الصدور))، فكيف يسوغ لكتابه الآخر ((الخصائص))، مع أن العلماء صنّفوا موسوعات أكبر من كتابيّ ابن سبع ولم يُجردوا كتبهم من الأسانيد، وبعضهم معاصر له أو متأخر عنه، فضلًا عن السابقين عليه، مثل أبي نعيم (ت ٤٣٠هـ) في دلائل النبوة، ومثله البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في تاريخ دمشق، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في المنتظم.

وأما تبرير الإغراب وسوق ما هبّ ودبّ من الأخبار، بأن ذلك راجع إلى تجويز العلماء للعمل في الحديث الضعيف في فضائل الأعمال؛ فهذا ليس على إطلاقه، وليس صحيحًا أن أكثر العلماء جوّزوا العمل به في فضائل الأعمال، ومن أجاز العمل به ذكر شروطًا لذلك، والمرجح عدم جواز الأخذ بالحديث الضعيف مطلقًا. أما الحديث الموضوع فقد أجمع العلماء على تحريم روايته، لا في فضائل الأعمال ولا في غيرها مع العلم بوضعه، إلا على سبيل التنبيه على وضعه ليحذره الناس[١٢٥].

والتماس العذر له بعدم حكمه على الروايات خشية من التطويل، فهذا لو كان يسوق الأسانيد، كما كان منهج العلماء قديمًا، إذ القاعدة عندهم "من أسند فقد أحال"، ولكن ابن سبع لا يذكر أسانيده، ولا يحكم على رواياته، والاعتذار بخشية التطويل ينطبق عليها ما سبق قوله فيما

---

(١٢٤) أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع١٠، ص٣٩.٤٠.

(١٢٥) لعل من أفضل ما كُتب في هذ الباب أطروحة الماجستير للشيخ الخضير، عبدالكريم، الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، الرياض، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧ م).

ذُكر قبله، علمًا أن ابن سبع يؤيد بعض الروايات بالإحالة على الصحيحين أو أحدهما، وربما ينصُّ على صحة الخبر لتقوية مراده، ومن ذلك قوله مثلًا: "قد صح عندنا وثبت أنه ρ قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وصح أيضًا أنه قال: أنا أول شافع وأول مُشفَّع، وصح أيضًا أنه أول من ينشق عنه بطن الأرض، وصحّ أيضًا أنه أول من يؤذن له بالسجود، وصح أيضًا أنه قال: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة، وصحّ أيضًا أنه أول من يأتي المحشر، وصحّ أنه أكرم بني آدم، وصحّ أنه صاحب المقام المحمود، وصحّ أن لواء الحمد بيده يوم القيمة يقوم على يمين العرش، ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره، وصحّ أنه أول من يقرع باب الجنة، وصحّ أنه أول من يُؤمر بالسجود"(١٢٦)، ولكن مع علمه بما يصحّ، فإنه قليلًا ما يذكر الحكم.

والذي يبدو لي أن ابن سبع لم تكن تخفى عليه هذه الأمور، فهو عالم كبير، وهو من مدرسة الحديث، ولكن الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه أراد أن يضع موسوعة في الهدف الذي حدّده، وإن دخل في هذه الموسوعة من المرويات ما لا يرضى هو، وإنما مراده جمع المادة العلمية؛ خشية من ضياعها، كما كان نهج كثير من السابقين، وهذا أمر شرحه يطول، ولا يخفى على المتخصصين.

كما يجب عدم إغفال أن العالِم في ذاك الزمن قد يروي أشياء يعتقد صحتها، وإن لم تكن كذلك، أو لم يظهر له شدة ضعفها، ولكن هذا لا ينطبق على الروايات الظاهر أمرها، والتي لا تخفى على عالم كبير مثل ابن سبع.

وقد انتقد الذهبي مسلك القاضي عياض حينما قلّد ابن سبع فيما ذكره، فحشا كتابه ((الشفا)) بالأحاديث الموضوعة، والتأويلات الواهية، مما لا يحتاج قدر النبوة له(١٢٧)، وهذا النقد موجه لابن سبع قبل القاضي عياض.

---

(١٢٦) مختصر الخصائص، ص٧٣ أ.

(١٢٧) الخفاجي، أحمد بن محمد المصري (ت ١٠٦٩هـ)، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، ١/١٤، ولم

وهو وعيٌ عميق من الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ فقد أصبح كثير من الروايات الضعيفة والمختلقة، سببًا في ظهور فرق منحرفة وطوائف مبتدعة، ومجال سخرية وتندُّر من الطاعنين على النبوة والقادحين في الإسلام، قديمًا وحديثًا. وإن كان الخفاجي عدّ قول الذهبي عن شفاء عياض بأنه "تحامل منه لا ينبغي"، ورأى الكتاني أنه لم يُنصف في قوله(١٢٨)، ولكن الذي يظهر أن الذهبي انتقد كثرة ما فيه من الروايات الواهية، وليس قصده طرح الكتاب بالكلية، وقد قال السخاوي عن شفاء ابن سبع: "فيه مناكير كثيرة"(١٢٩).

وثمة ملاحظة لا أرى إغفالها، وإن كنتُ لا أقطع بها، وهي أن ابن سبع ـ فيما يبدو لي ـ له مسلك صوفي، وإن لم يكن غاليًا، ويظهر هذا في كتابه ((الحجة في إثبات كرامات الأولياء وإيضاح البراهين من صحة وقوعها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة))، وذكر فيه أشياء كثيرة ومنها ما يقع للصالحين من طي البعيد في الأمد اليسير، والمشي على الماء، وفي الهواء، وقلب الجمادات إلى الذهب والفضة... (١٣٠).

وأهل التصوف معروفون بالتساهل في الرواية، وعدم تحرير الأخبار التي يستشهدون بها أو نقدها؛ لذا فقد يكون تساهل ابن سبع في كتابيه من هذا الباب.

ومهما أُخذ على ابن سبع، ففي كتابه علم غزير، وفوائد جمة، ونوادر قيمة، مع سبقه لإفراد الخصائص بالكتابة، وجمعه لها جمعًا لم يسبقه إليه أحد فيما ظهر لي، وهذا في حدِّ ذاته عمل رائد، وجدة وابتكار.

كتاب ((الدُّر الثمين في خصائص النبي الأمين)) لابن الجوزي

سبق الحديث عن فقدان هذا الكتاب، حسب ما يُعلم حتى الآن، وقد حاولت جاهدًا أن أجد نصوصًا في المصادر نقلت منه، وبالذات في كتب الخصائص، فلم أظفر إلا بالقليل النادر.

أجد كلام الذهبي في شيء من كتبه قدر استطاعتي.

(١٢٨) الرسالة المستطرفة، ص١٠٦.

(١٢٩) الإلمام في ختم سيرة ابن هشام، ص٧٩، والإعلان بالتوبيخ، ص٥٣٧.

(١٣٠) أعراب، أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، س٢٠، ع٨، ص٢٠، نقلًا عن مخطوط الكتاب.

وممن نقل من الكتاب عبدالرحمن بن عبدالسلام الصفوري (ت ٨٩٩هـ)[١٣١] في كتابه المشهور ((نزهة المجالس ومنتخب النفائس))[١٣٢]، وسمّى الكتاب ((الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين))، ولم يذكر أنه لابن الجوزي، وإنما يذكر الكتاب فقط، ونقل منه في تسعة مواضع، وهي:

١-رواية إسرائيلية في معاتبة الله لموسى عليه السلام عن قتل الرجل من قوم فرعون[١٣٣].

٢-نقل عنه أن اسم الراهب بحيرا (نسطورا)، وشيئًا من خبر خديجة مع النبي ε[١٣٤]، وهي قصة منكرة.

٣-أن إسرافيل نزل على الرسول ε بكلمة الوحي أولًا ثلاث سنين، ثم نزل عليه جبريل[١٣٥]، وهذا خبر ساقط ترده الروايات القطعية الصحيحة.

٤-حكاية قولٍ في اسم والدة أم سلمة رضي الله عنها وعدّه مُصنّف الكتاب مخالفًا للمعروف في اسم أمها[١٣٦].

٥-أن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها عمّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ورد المصنف هذا القول[١٣٧].

---

(١٣١) أو بعدها، وجعل الزركلي وفاته سنة (٨٩٤هـ) (الأعلام ٣/٣١٠)، وهذا يخالف قصة عزله عن الوعظ.

(١٣٢) مصر، المطبعة الكاستلية، ١٢٨٣هـ، والكتاب مشحون بكثير من الأحاديث الموضوعة والأخبار الباطلة والأقوال الساقطة؛ لذا فقد حكم عليه القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الحمصي برفع كرسيه من الجامع الأموي الذي كان يعظ فيه، قال: "ثم أحضر الكتاب المذكور، وذكر أنه تاب، ورجع عن الأحاديث الموضوعة التي فيه، وأنه لا يعود لذلك، والله يعلم المفسد من المصلح" (ابن الحمصي، أحمد بن محمد (ت ٩٣٤هـ)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عبدالعزيز فيّاض حرفوش، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص٢٤٥).

(١٣٣) ٢/١٢٨.

(١٣٤) ٢/١٣٢.

(١٣٥) ٢/١٣٣.

(١٣٦) ٢/١٤٠.

(١٣٧) ٢/١٤٠.

٦-في الوكيل على تزويج أم حبيبة رضي الله عنها من الرسول ε[١٣٨].

٧-حديث عن الرسول ε بشأن زواجه بأمهات المؤمنين بوحي من الله، وكذا تزويج بناته[١٣٩].

٨-نقل عنه ترجيح الواقدي في شأن ريحانة بنت زيد، وهي من سراري الرسول ε[١٤٠].

٩-رواية حديث عن النبي ε بمفاخرته الأنبياء يوم القيامة بالحسن والحسين رضي الله عنهما[١٤١].

وإذا كانت هذه النقول من كتاب ابن الجوزي فعلًا، فإنها لا تُعطي تصوُّرًا عن الكتاب، فهي نقول ضعيفة، وليس فيها ما يُوضّح مادة الكتاب كما جاء في عنوانه، كما أن هذه النقول عليها من المآخذ ما لا يخفى، وعلاقتها بالخصائص في مسألة واحدة فقط، ولا تصح، وهو ما جاء في رقم (٣)، علمًا أن الصفوري عقد في آخر كتابه بابًا عن خصائص الرسول ε، ولم ينقل فيه شيئًا عن كتاب ابن الجوزي.

وقد مضى القول بأن ابن الجوزي له كتاب ((الوفا بتعريف فضائل المصطفى ρ))، وجرى الكلام في علاقته بكتاب ((الدُّر الثمين))، واتصاله كذلك بموضوع البحث، ولا يبعد أن يكون مضمون كتاب ((الدُّر الثمين)) قريب مما جاء في كتاب ((الوفا)) في باب الخصائص، مع احتمال توسع المصنف فيه أكثر، وقد جعل ابن الجوزي قسمًا من كتابه ((الوفا)) عن فضل النبي ρ وخصائصه، وجعله في ثلاثة عشر بابًا، ولكنه ليس بطويل، فهو يقع في عشرين صفحة تقريبًا، وأطولها ما يتعلق بفضله ρ على الأنبياء، حتى بلغ أكثر من النصف، وأما الباقي فهو مختصر، فيذكر عنوان الخصيصة ثم يورد الدليل عليها دون توسع.

---

(١٣٨) ١٤١/٢.

(١٣٩) ١٤٢/٢.

(١٤٠) ١٤٥/٢.

(١٤١) ١٨٠/٢.

ويصح أن يقال أن ابن الجوزي استوعب في كتابه ((الوفا)) أغلب الخصائص، ولكنه لم يُفصِّل فيها، وبعضها داخل في الأقسام الأخرى من الكتاب وإن لم يضمنه في قسم الخصائص، مثل صفات جسده ρ، وأخلاقه، ودلائله، ونحو ذلك.

ويمنعنا من الاستطراد في الحديث عن هذا الكتاب عدم دخوله في شرط هذا البحث، وإنما جاءت هذه الإشارة للاحتمالات السابقة، خاصة إذا أضفنا أن ابن الجوزي يكرر كتاباته التاريخية في قوالب متعددة.

كتاب ((نهاية السول في خصائص الرسول ε)) لابن دحية الكلبي[١٤٢]

وتحقيق اسم الكتاب يحتاج إلى تدقيق، ففي الفهرس الشامل ذُكر الكتاب ((نهاية السول في خصائص الرسول ρ))[١٤٣]، وكذا ذكره ابن الملقن[١٤٤]، والكتاني[١٤٥]، وإسماعيل باشا[١٤٦]، وعبدالله كنون[١٤٧]، وجاء هكذا في نهاية الكتاب كما في النُّسخة التي اعتمدها المحقق: "كمل كتاب نهاية السؤل في خصائص الرسول محمد ρ"[١٤٨]، وفي بداية الكتاب جاء اسمه كالتالي: "الجزء الأول من كتاب نهاية السؤل في خصائص الرسول محمد بن عبدالله ρ وشرَّف وكرَّم"[١٤٩]، ومثله تمامًا جاء أيضًا في نهاية الكتاب [١٥٠]، وجزم محقق ((الآيات البينات)) أنه في النُّسخ الخطية ((الخصائص))[١٥١]، وكذا سماه ابن حجر في موضعين

(١٤٢) خلا تحقيق الكتاب من دراسات مهمة عن الكتاب، ومحتواه، ومصادره، وقيمته العلمية ونحو ذلك مما هو معروف من قواعد التحقيق.

(١٤٣) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط السيرة والمدائح النبوية، ٩٧٧/٢.

(١٤٤) غاية السول في خصائص الرسول ρ، ص١٣٩.

(١٤٥) الرسالة المستطرفة، ص٢٠٢.

(١٤٦) إيضاح المكنون، ٦٩١/٤، وهدية العارفين، ٧٨٦/١.

(١٤٧) كَنّون، عبدالله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ص١٥٩.

(١٤٨) ص٥٠٣.

(١٤٩) ص٣٢.

(١٥٠) ص٥٠٤.

(١٥١) جمال عزون، مقدمة تحقيق الآيات البينات، ص١٥٨، هكذا جزم! في حين أن اسم الكتاب في المخطوط

من فتح الباري[١٥٢]، وفي نهاية الكتاب ذِكْرٌ لبعض مصنفات ابن دحية، قال: "وهذا المصنف المعروف بالخصائص"[١٥٣]، أما محقق الكتاب، فلم يحرر اسمه، أو على الأقل لم يُشر إلى هذا الاختلاف، وجعل عنوان الكتاب ((نهاية السول في خصائص الرسول محمد بن عبدالله ρ))[١٥٤].

ثم رجعت إلى نُسخ الكتاب الخطية المحفوظة بدار الكتب، فإذا اسم المخطوط على صفحة العنوان: ((نهاية السول في خصائص الرسول محمد بن عبدالله ρ وشرف وكرم))[١٥٥]، وفي نسخة أخرى[١٥٦] مثلها، ولكن ((السؤل)) بدل ((السول)).

بيّن ابن دحية هدف الكتاب في المقدمة، فقال: "أما بعد، فإني ذاكرٌ في هذا الكتاب... من خصائص رسول الله ε التي لم تجتمع قبل في مخلوق، وما أوجب الله عز وجل له على جميع خلقه من الحقوق"[١٥٧].

الذي اعتمده المحقق، كما ذُكر بعاليه، ولم يرد في النُّسخ المحفوظة بدار الكتب المصرية باسم ((الخصائص)).

(١٥٢) ٢٠٩/٦، ٧/١٢.

(١٥٣) ص٥٠٣.

(١٥٤) ويرى جمال عزّون في مقدمة تحقيقه لكتاب الآيات البينات (ص١٥٨) أن ابن الملقن أطلق اسم ((خصائص أعضاء رسول الله ρ)) على كتاب ((نهاية السول)) (ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري (ت ٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبدالله بن سليمان، وياسر بن كمال، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)، ٣٨٤/١)، وأوضح عزّون وجهة نظره (ص١٧٤ الحاشية)، ولكني أُرجح أن ابن الملقن يقصد كتاب ((الآيات البينات))، فالنّص الذي نقله هو من الآيات البينات (قارن البدر المنير، ٣٨٤/١، ٥٤٢/٤، مع الآيات البينات، ص٣٣٠، ٣٧٣)، كما نقل منه أيضًا في كتابه الآخر غاية السول (ص٣٠٢) وسماه بالاسم نفسه ((خصائص أعضاء رسول الله ρ))، والنص في كتاب الآيات البينات (ص٣٢٦).

(١٥٥) القاهرة، دار الكتب، فؤاد، ١٧٩/٣ (١٩٥٠٧ ب).

(١٥٦) القاهرة، دار الكتب، فؤاد، ١٧٩/٣ (٢١٤٩٤ ب).

(١٥٧) ص٣٤.

وبعد مقدمته قال: "فمن خصائصه وفضائله وآدابه ε"(١٥٨)، فهو يُدخل الفضائل والآداب بالخصائص، باعتبار ما انفرد به منها عن غيره، ولم يُشاركه بها أحد.

ثم بدأ بذكر الخصائص ولكن من دون تبويب ولا ترتيب، ويكتفي بقوله: "ومن خصائصه"، أو "ومنها"، ولم يُميّز ما اختصّ به ε عن الأنبياء قبله، ولا ما اختصّ به عن أمته، فدمج الجميع. وأما العناوين التي في الكتاب المطبوع، فهي من عمل مُراجع الكتاب(١٥٩).

وتميّز الكتاب بالاستنباطات العظيمة المقرونة بالدليل، فهو يستشهد بالقرآن كثيرًا، والحديث النبوي، فالكتاب مليء بهذه الاستشهادات، حتى إنه لا تخلو منه صفحة، وابن دحية أهل لذلك؛ كيف لا وقد قال عن نفسه وكتابه هذا في مقدمته: "لا أعلم الآن أحدًا أعلم بالصحيح من السقيم منّي، فهو بحر علمٍ تلتطم بالكتاب والسنة أمواجه"(١٦٠)، قال الذهبي: "كان بصيرًا بالحديث، معنيًّا بتقييده، مُكبًّا على سماعه"(١٦١).

ولم يكتف بسوق الاستشهادات فقط، بل تميّز بالتعليق والتدقيق، والنظر والتحقيق، مما لم يُسبق إليه في بعض المسائل(١٦٢).

ويهتم ابن دحية باللغة كثيرًا وبيان الغريب، وربما تشعّب في بعض المواضع فأكثر من الاستشهاد بالشعر، وجاء بمعانٍ دقيقة فيها فوائد عظيمة تؤيد رأيه في ذكر بعض الخصائص(١٦٣)؛ وذلك لتبحره وطول باعه في علم اللغة، حتى قيل: إنه من أحفظ أهل زمانه فيها(١٦٤).

كما يستطرد أحيانًا في بيان بعض الأحكام الفقهية، مثل حكم الصلاة على النبي ε، أو الدروس المستنبطة من بعض الآيات أو الوقائع

---

(١٥٨) ص٣٧.

(١٥٩) ينظر ص١٠.

(١٦٠) ص٣٦.

(١٦١) تذكرة الحفاظ، ١٢١/٤.

(١٦٢) مثلاً: ص٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٩-٦٠، ٧٠-٧١، ٧٢-٧٣، ٨٥، ٨٩.

(١٦٣) ينظر مثلًا: ص٤٠، ٤٥-٤٩، ٥٠، ٥٨، ٥٩-٦٠، ٧١-٧٢، ٧٦-٧٧، ٨٨-٨٩، ٩٤-٩٦، ١٢٨-١٢٩،

(١٦٤) المقري، نفح الطيب، ٣٠١/١.

التي نزلت فيها هذه الآيات، أو وردت فيها بعض الأحاديث(١٦٥)، وكثير منها فيه معانٍ عظيمة وفوائد نادرة وعزيزة.

ويُبدي رأيه بالحجة والبرهان، كقوله في معنى چ چ چ في القرآن(١٦٦)، واسم المرأة التي نزلت بشأنها سورة الضحى(١٦٧).

ويحرص على نفي الشُّبه والتهم عن الرسول ε إذا ورد لها مجال، ويُطيل النفس بها أحيانًا(١٦٨).

واستطرادات المصنف هذه ـ وغيرها كثير ـ قد يرى فيها البعض خروجًا عن هدف الكتاب الذي وضع لأجله، والحق أنه مع عظيم فوائدها وتنوع مشاربها، فإن ابن دحية غالبًا ما يُوجّه هذه الاستطرادات إلى ما يخدم هدف الكتاب، وهذا منه غاية في الذكاء والفطنة، وبيان هذا الأمر في غير هذا الموطن، مما يستحق بحثًا مستقلًا عن منهج ابن دحية في كتبه.

وقد يُؤخذ على الكتاب بعض التداخل والتشابه(١٦٩)؛ إذ إن التجارب الأولى غالبًا لا تخلو من ذلك، وهي أقرب ما تكون بمرحلة جمع المادة العلمية أول الأمر، ثم يأتي بعد ذلك التمحيص والتدقيق، وخاصة في مثل هذا الفرع المتشابه الذي تختلط فيه مجموعة من الموضوعات، ومن الصعب فصل بعضها عن بعض، فالخصائص في كثير منها تمتزج بالفضائل والشمائل والدلائل؛ ولذا أشار ابن دحية في بداية سرده للخصائص إلى هذا المعنى فقال: "فمن خصائصه وفضائله وآدابه ε"(١٧٠)، فهذه المعاني بينها تداخل سبق بيانه في أول البحث. بل إننا نجد من المتأخرين من خلط الخصائص بكثير من السيرة، على الرغم من

---

(١٦٥) ينظر مثلًا: ص٦٧-٧١، ٧٤-٧٥، ٨٢-٨٣، ٨٥-٨٧، ١١١، ١١٩-١٢٠، ١٣١.

(١٦٦) ص٥٤-٥٨.

(١٦٧) ص١٢١-١٢٣.

(١٦٨) ص٩٧-١٤٣، ٢٥٢-٢٧٤، ٣٦١-٣٦٧، ٣٧١ وما بعدها.

(١٦٩) مثل إدخال بعض الفضائل، ص٢٣٧ وما بعدها.

(١٧٠) ص٣٧.

استقرار مصطلح الخصائص، ومنهم السيوطي في كتابه الكبير ((الخصائص الكبرى)).

كما يُلاحظ على كتاب ابن دحية خلو بعض الخصائص من الأدلة، وهي أشبه ما تكون باستنباطات من بعضهم أو اجتهادات دون نصٍّ صريح(١٧١)، وإن كان في بعضها شيء من الصواب، والعلم عند الله، إلا أن التكلف مما يستغني عنه مقام نبينا ε، ويكفيه ما ثبت بالنص الصحيح الصريح الذي لا يدانيه فيه نبي من الأنبياء، فضلًا عن سائر المخلوقين؛ لذا فإن قول المصنف في مقدمته: "وإن كانت خصائصه ε أكثر من أن تُحصى، بل تزيدُ عدًّا على مجموع الحصى"(١٧٢) فيه مبالغة كبيرة، قد يكون سببه تكلُّف السجع وتعظيم قدر مقام النبي ε.

كما أن التساهل في إيراد بعض الخصائص مما لا دليل عليه، أو لا يصح بها دليل، ومثلها باقي فروع السيرة الأخرى؛ جرّ قومًا إلى المغالاة التي خرجت عن الحد الشرعي، مما نهى الله عنه ورسوله ε، فأوقع بعض الأمة في متاهات وضلالات ومبتدعات حرَّفتها عن صراطها المستقيم.

وقدّم أحد الباحثين وصفًا لكتاب ابن دحية يُضاف إلى ما ذُكر هنا، ويتلخّص رأيه بأن ابن دحية يُعدُّ صاحب الريادة في مجال الكتابة في الخصائص لأمور، منها: أنه استظهر بواطن معاني الآيات فيما خفي على البعض معرفته من الخصائص، فجاء كتابه جامعًا للخصائص فيما ذكرته المصادر قبله، مع إثباته لأخرى لم يلتفت لها غيره. وتميّز الكتاب كذلك باعتماد مصنّفه على الروايات المسندة، والإحالة على مصنفاته والمصنفات التي سبقته، واعتداد ابن دحية بنفسه وتفاخره بإنجازه، وتوظيفه لمعظم جوانب السيرة المتفرقة فيما يخدم فكرة الكتاب(١٧٣).

وهذه النقاط وإن كانت صحيحة في توصيف كتاب ابن دحية، إلا أن عدّه رائدًا في جميع هذه المسائل فيه نظر؛ فابن سبع سبق ابن دحية

---

(١٧١) مثل كثير من الخصائص التي انفرد بها ε عن الأنبياء، ص٢١٠ وما بعدها.

(١٧٢) ص٣٤.

(١٧٣) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص٣٨٢-٣٨٦.

في جُلّ هذه الأمور، ولكن العذر للباحث أنه لم يطّلع على مصنف ابن سبع.

كتاب ((الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ε من المعجزات)) لابن دحية كذلك

ألّفه ابن دحية بعد كتابه نهاية السول؛ مما يعني أنه خصّ شيئًا من الخصائص بالتصنيف، ويُعدُّ هذا تقدمًا في التصنيف في هذا الفرع، فبعد أن كانت الخصائص تُدرج في الفروع الأخرى من السيرة، صار الاهتمام بإيرادها في الدلائل والشمائل والفضائل، ثم استقلت بالتصنيف، وبعدها كان الاهتمام بأجزاء منها بإفرادها في كتب مستقلة.

وورد لكتاب ابن دحية عناوين أخرى دلّت على معنى الخصائص بشكل أدق، إذ ليس للكتاب عنوان متفق عليه، فإضافة إلى العنوان السابق، ورد اسمه على غلاف نسخة الكتاب الفريدة ((خصائص أعضاء رسول الله ε))، ويرى المحقق أن هذه التسمية ليست اسم الكتاب الذي وضعه مصنفه، وإنما "رُوعي فيها موضوع الكتاب"(١٧٤). وقد أشار ابن دحية إلى هذا المسمى وحدّد هدف الكتاب، فقال في كتابه نهاية السول: "وقد أفردنا كتابًا يحتوي على مجلدين لجميع ما خصّ الله به أعضاءه"(١٧٥)، وقال في مقدمة كتابه ((الآيات البينات)): "وقد رأيتُ الآن أن أختم ذلك بما خصّ الله به أعضاء رسوله، وما مدحها به في محكم تنزيله، وما ظهر لها من المعجزات"(١٧٦)، ويعني هذا أيضًا أن الكتاب في خصائص الأعضاء لا في معجزاتها فقط(١٧٧)؛ مما قد يتبادر إلى الذهن عند قراءة عنوانه الذي اختاره له محقق الكتاب، والذي ينصرف إلى المعجزات فقط، وعند مطالعة الكتاب نجد أن ابن دحية يستخدم كلمة ((خصائص)) للإشارة إلى كتابه، فيقول: "وسيأتي لذلك مزيد بيانٍ فيما بعد من خصائص عينية"(١٧٨)، "على ما سنذكره فيما بعد في خصائص

---

(١٧٤) تنظر دراسة المحقق، ص١٧٣-١٧٤.

(١٧٥) ص١٨٩.

(١٧٦) ص١٩٩-٢٠٠.

(١٧٧) وهناك فارق لطيف بين المعجزة وبين والدلالة ومدى تداخلهما مع الخصائص، وبيانه في بحث آخر.

(١٧٨) ص٢٢١.

رؤيته"(١٧٩)، "ومن خصائص جملته"(١٨٠)، "وأما خصائص سمعه"(١٨١)، "وأما خصائص فَمِهِ "(١٨٢)، "في آخر خصائص يديه"(١٨٣)، "وأما خصائص صدره"(١٨٤)، بينما وردت كلمة ((المعجزات)) للدلالة على الكتاب في موضع واحد فقط، قال: "وقد ذكرت ذلك في معجزات يديه"(١٨٥).

وأمر ثالث يؤيد تسميته بالخصائص: أن ابن الملقن سمّى الكتاب ((خصائص أعضاء رسول ρ))، وإن كان محقق الكتاب يرى أنه قصد كتاب ابن دحية السابق ((نهاية السول))، ولكن سبقت الإجابة بأن النصوص المنقولة هي من كتاب ((الآيات البينات)).

ولعل أقرب التسميات للكتاب هي التي ذكرها ابن الشعّار: ((الآيات البينات فيما خصّ الله تعالى به أعضاء نبيه من المعجزات))(١٨٦)، خاصة وأنه معاصر لابن دحية، وهو أقدم من ذكر الكتاب، وينطبق العنوان على مضمون الكتاب؛ لاشتماله على خصائص ومعجزات أعضاء رسول الله ρ.

أما عن محتوى الكتاب(١٨٧)، فهو في كل ما يمسّ أعضاء وجوارح الرسول ε وما فيها من الخصائص والدلائل والمعجزات، فذكر مدح الله

---

(١٧٩) ص٢٢٢.

(١٨٠) ص٢٣١، ٢٣٥.

(١٨١) ص٢٤٢.

(١٨٢) ص٢٥٨.

(١٨٣) ص٣٣٠.

(١٨٤) ص٣٩٣.

(١٨٥) ص٣٢٤.

(١٨٦) ابن الشعّار، المبارك بن أحمد بن حمدان الموصلي (ت ٦٥٤هـ)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ١٩٤/٤، وقد اهتديت إليه عن طريق محقق كتاب الآيات البينات (ص١٧٤)، الذي نقله بالواسطة من كتاب تراجم مغربية لمحمد شريفة؛ وعذره أن الكتاب لم يكن طبع بعدُ كاملًا.

(١٨٧) على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله محقق الكتاب في تحقيقه وتقديم دراسة وافية عن جوانب متعددة

سبحانه لبعض أعضاء رسوله ρ، مثل: مدح الله جل وعز لوجهه الكريم ε، وعينيه، ولسانه، ويديه، وصدره، وأذنيه، وقلبه، وظهره، وخُلقُه... إلخ.

ومن الأمثلة على ما ذكر مدح الله لأُذني نبيه ε فقال سبحانه: چ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ الآية(١٨٨)، أي ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله ويعيبونه ويقولون: هو أذنٌ سامعةٌ يسمع من كل أحد ما يقولُ له فيقبلُه ويصدقُه... فأعلم الله عز وجل عباده أن محمدًا ε أذنُ خيرٍ لا أذنُ شرٍّ، أي يستمع ما ينزّل الله عز وجل عليه فيُصدقُ به ويصدّقُ المؤمنين فيما يخبرونه به، وهو معنى چ ې د چ يُصدّق بالله وحده لا شريك له، ويُصدّق المؤمنين لا الكافرين والمنافقين..." (١٨٩).

"ومدح قلبه، فقال تعالى: چ ې ې ى ى ئا ئا ئە چ(١٩٠): أي ما أنكر قلبُه ما رأت عينُه ليلة الإسراء لما عُرج به إلى السماء.

وقال جل من قائل: چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ چ (١٩١): أي فعلنا كذلك لنُثبت به فؤادك لتحفظه ولا تنساه..."(١٩٢).

"ومدح ظهره، فقال جلّ من قائل: چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ M چ(١٩٣): أي جعل نقيضَه يُسمع أي صوتَه، وهذا مثلٌ لشيوع ثنائه عليه في الدنيا، واحتياج جميع الخلق إلى شفاعته في الأخرى في قوله: چ

حول مصنفه، إلا أنه لم يقدّم دراسة عن محتوى الكتاب، أو عن موضوعه، أو من سبق المصنف، في حين عقد المحقق مبحثًا عن قيمة الكتاب العلمية (ص١٨٢)، لم يذكر فيه إلا أربعة أسطر لا تخدم القارئ.

(١٨٨) سورة التوبة.

(١٨٩) ص٢١٥.

(١٩٠) سورة النجم.

(١٩١) سورة الفرقان.

(١٩٢) ص٢١٧.

(١٩٣) سورة الشرح.

ﭐ ﭑ ﭒ Sﭓ متبعًا لقوله: ﭓ ﮮ ﮯ M ﭔ: أي لمّا أن وضعنا عنك وزرك المُنْقِضَ لظَهرِك؛ رفعنا لك ذِكرَك، فبهذا يستقيم مدحُ ظهرِه على هذه الإشارة، وهي مما تلحظه عيون المعاني عند العِبارة"(١٩٤).

وحتى نفهم بعض مقاصد المصنف الدقيقة نتأمل قوله: "وكان جُمْلَة رسول اللهε رحمةً للعالمين: شَعَرُه، وشفتاه، وأسنانُه، وجوارحُه، ودمُه، ونَفْخُه، وريقُه، وتَفْلُه، ونفثُه، وعرَقُه، وماؤُه"(١٩٥).

"ومن فوائد جُملته: المبايعة على النُّبُوة والإيمان، والدخول بنُصرته في طاعة الرحمن، وهي متلقاه باليد واللسان، مع اعتقاد الجنان"(١٩٦)، ومن خصائص جملته أنه ε رَبْعَة من الرجال، وإذا مشى مع طويل طالَهُ، وأن الله كساه من نور الجلال حُلَّة المحبَّة والجمال... إلخ(١٩٧).

وذكر شَعْر الرسول ε، وخصائص سمعه، وخصائص فمه وأعظمها الفصاحة، ثم ذكر معجزات نفخه، وتَفْلُه، ونفثه، وتَفَثُه ε، وعرّج على قصة حفر الخندق وما فيها من المعجزات، ومثلها غزوة تبوك، واستشهد بأخبار وأحداث وقصص من السيرة تدليلًا على ما يقول.

وأسهب في خصائص بعض جوارح الرسول ε: في عينيه، مثل كونه عليه السلام يرى مِن خَلْفه كما يرى من أمامه، ورؤيته للملائكة والأنبياء وملكوت السماوات والأرض، ورؤية الشياطين على صورهم التي هم عليها، قال ابن دحية: "وهو مما خُصّ به كما خُصّ برؤية الملائكة، ولا يرى أحدٌ الشيطان على صورته إلا غيرهُ ε؛ لأن الله تعالى يقول: ﭓ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭔ(١٩٨)، وقد رأى جبريل غير مرة، ورآه وله ستمائة جناح... ورأى بيت المقدس حين رفعه الله إليه؛ حتى وصفه لقريش على ما هو عليه من صفتِه كما ثبت وصحَّ، ورُفع له النجاشي حتى صلى عليه، وبينه وبينه البحر الأعظم

---

(١٩٤) ص٢٢١.

(١٩٥) ص٢٢٨.

(١٩٦) ص٢٢٨.

(١٩٧) ص٢٣١.

(١٩٨) سورة الأعراف.

ومسيرةُ مدّةٍ في البر، ورأى فيما صحّ عنه مشارق الأرض ومغاربها حين زوى الله له الأرض، وهذا كله محمول على رؤية العين حقيقةً لا مجازًا، فلا يُحمل على غير ذلك جوازًا"(١٩٩).

وتحدّث عن حادثة شق صدر الرسول ε وما فيها من المعجزات، وقال: "وهذه معجزة عظيمة، وآية قويمة، لم يكُن مثلُها لرسول، ولا تقدّمت في منقول، فإن شقّ الصدر واستخراج القلب منه وغسْلَهُ، ثم إعادته إلى مكانَه من أعظم ما يقوم لرسول الله ε من بُرهانِه، فإن حياة الإنسان مع ذلك عجيب، وليس لغير الرسول النبي النجيب"(٢٠٠).

وأخيرًا ذكر من خصائص أعضائه ε: يداه، ففسّر قول الله جلا وعلا: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ چ (٢٠١)، وذلك بإقامة يد الرسول ε مقام يد الله عز وجل(٢٠٢) ثم أورد شيئًا من معجزات يده عليه السلام مثل ما فعل بجمل جابر(٢٠٣)، ونبع الماء من بين أصابعه(٢٠٤)، وقصص أخرى(٢٠٥).

وختم ببعض فضائل المدينة النبوية؛ "لأنها طابت بالطيب المختار"(٢٠٦).

أما عن منهج ابن دحية في الكتاب، فهو شبيه بكتابه ((نهاية السول)) من الاعتماد في الاستدلال على الكتاب والسنة، واستخدام الإسناد في مروياته، وتصريحه بكثير من مصادره التي يأخذ منها، وقد سمّى أربعين مصدرًا، وذكر مصنفين آخرين دون تسمية مصنفاتهم(٢٠٧)،

---

(١٩٩) ص٣٨٩-٣٩٠.

(٢٠٠) ص٣٩٦-٣٩٧.

(٢٠١) سورة الفتح آية ١٠.

(٢٠٢) ص٣٩٨.

(٢٠٣) ص٣٩٨.

(٢٠٤) ص٣٩٩-٤٠٠.

(٢٠٥) ص ٤٠١-٤١٤.

(٢٠٦) ص٤٢٤-٤٣٠.

(٢٠٧) تنظر مقدمة المحقق، ص١٧٩-١٨٢، وقد أورد (٣٩) كتابًا، ولكنه أهمل كتاب ((الدلائل في شرح غريب

ويتميّز أسلوبه بالاستطراد في مباحث لغوية، وفقهية، وفوائد علمية متعددة تخدم في الغالب هدف الكتاب، بل هو أسلوب لابن دحية في جميع كتبه تقريبًا؛ مما ينمُّ عن عقلية علمية عظيمة، وحافظة كبيرة، وعبقرية نادرة.

كتاب ((ذكر ما أُعطي نبينا محمد ε دون الأنبياء)) للضياء المقدسي

والكتاب لا يزال مخطوطًا، ونسخته الموجودة بخط المؤلف، ولكنها رديئة جدًا، وكثير منها غير مقروء، وهو صغير الحجم، يقع في تسع صفحات، ولكن فيه بعض الميزات، فالمصنّف يروي الأحاديث بالإسناد، ورواياته فيما ظهر منها منتقاة، فهي في حكم المقبول، ولم يستطرد المقدسي فيما هو خارج عن موضوع الكتاب، ولم ينجرف بذكر روايات ضعيفة كما وقع غيره، هذا مع كونه أول من أفرد التصنيف في هذه الجزئية من الخصائص.

كتاب ((مُنية السول في تفضيل الرسول)) للعز بن عبدالسلام

وذكره صلاح الدين المنجد[٢٠٨] عن السبكي باسم ((بداية السول فيما سنح من تفضيل الرسول))[٢٠٩]، وقال: "وهي بهذا العنوان مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (٤٦٠ تاريخ) كُتبت سنة ٨٨١ هـ، ضمن مجموعة من ورقة (١٧٤ – ١٧٥)"[٢١٠].

ولكن الذي في طبقات السبكي في الموضع نفسه الذي أحال عليه المنجد ورد اسم الكتاب: ((بداية السول في تفضيل الرسول))[٢١١]، وكذا ورد اسمه عند الداودي[٢١٢]، وإسماعيل باشا[٢١٣].

حديث رسول الله ρ)) لثابت بن حزم السرقسطي، وقد نقل منه ابن دحية في ثلاثة مواضع= =(ص٣٢٦، ٣٦١، ٣٦٣)، وإن كان المحقق ذكره في فهرس الكتب الواردة في النص.

(٢٠٨) في تحقيقه للكتاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ (١٩٨١ م).

(٢٠٩) منية السول، ص٨.

(٢١٠) المرجع السابق نفسه.

(٢١١) السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ٢٤٨/٨.

وجاء في فهرس مخطوطات تشستربيتي مرة باسم ((بداية السول فيما سنح في تفضيل الرسول))، وأخرى باسم ((بداية السول في تفضيل الرسول))[٢١٤].

وسمّى المنجد الكتاب: ((مُنْيَة السول في تفضيل الرسول))؛ بناءً على مخطوطتين لديه، إحداهما نسخة برواية الحافظ شرف الدين محمد بن أبي القاسم الميدومي، قرأها على الشيخ العز بن عبدالسلام[٢١٥]، وقريب منه ذكره ابن حجر ((منية السول في فضل الرسول عليه السلام))[٢١٦]، ومثله الروداني[٢١٧]، وذكره السخاوي ((منية السول))[٢١٨].

أما الشيخ الألباني فحقّق الكتاب وأخرجه باسم ((بداية السول في تفضيل الرسول ε وشرَّف وكرَّم))[٢١٩]، كما جاء على نسخة ضمن

---

(٢١٢) الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة،= =مكتبة وهبة، ٣١٤/١.

(٢١٣) إيضاح المكنون، ١٦٧/٣، وهدية العارفين، ٥٨٠/١.

(٢١٤) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي (دبلن/ إيرلندا)، إعداد آرثر ج. آربري، ترجمة: محمود شاكر سعيد، مراجعة: إحسان صدقي العمد، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، ١٤١٣هـ (١٩٩٢/١٩٩٣م)، ٧٩٤/٢، ٩٨٨.

(٢١٥) منية السول، ص١٠٩.

(٢١٦) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تحقيق: محمد الميادیني، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ (١٩٩٨م)، ص٤٠٣.

(٢١٧) الرُّداني، محمد بن محمد بن سليمان المغربي (ت ١٠٩٤هـ)، صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م)، ص٤٠٢.

(٢١٨) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة، ٢٨٢/٤.

(٢١٩) بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

مجموع عند الشيخ زهير الشاويش[٢٢٠]، وخلت هذه النسخة من المعلومات المعتادة عن المخطوطة.

وجاء اسم الكتاب على نُسخة أخرى ((غايات الأصول فيما سنح من تفضيل الرسول))[٢٢١].

ويبدو أن الألباني لم يطّلع على تحقيق المنجد؛ إذ لم يُشر إلى هذه الطبعة، في حين ذكر أنه اطلع على تحقيق الغماري للكتاب وتكلم عنه[٢٢٢]، وعُذْرهُ فيما يظهر لي: أن الألباني والمنجد توافقا في هذه التحقيق بزمن متقارب، وإن كانت طبعة المنجد خرجت أولًا[٢٢٣].

ومن الواضح أن النسخة التي اعتمدها المنجد في تحقيقه أفضل النُّسخ المتوفرة للكتاب على الإطلاق؛ إذ "رواها الحافظ شرف الدين الميدومي، وقرأها على العز بن عبدالسلام، وكتب أصلها الأول بخطه، ثم رواها عنه ابنه الحافظ صدر الدين، وهو محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدومي، المتوفى سنة ٧٥٤ هـ، ثم قرأها شيوخ آخرون"، كما أنها مقابلة على ثلاث نسخ خطية أخرى[٢٢٤].

وقد قابلتُ نصّ الكتاب في تحقيقيّ الشيخ الألباني والمنجد، فظهر لي أن النسخة التي اعتمدها المنجد أضبط وأدق[٢٢٥]؛ ولذا اعتمدتُ تسمية

---

(٢٢٠) مقدمة الألباني لتحقيقه، ص٣.

(٢٢١) الوهيبي، العز بن عبدالسلام حياته وآثاره، ص١٥٦.

(٢٢٢) ص٢٤.

(٢٢٣) فقد انتهى الألباني من تحقيقه للكتاب في ٢٨ ذي الحجة ١٤٠١هـ، ولكن تأخرت طباعة الكتاب إلى منتصف سنة ١٤٠٣هـ (مقدمة بداية السول بتحقيقه ص٢٩)، في حين أن طبعة المنجد خرجت في سنة ١٤٠١هـ، وقد يكون الشيخ الألباني لم يتسنَ له مراجعة تحقيقه للكتاب لظروفه الشديدة التي أشار إليها في مقدمته.

(٢٢٤) مقدمة المنجد لتحقيقه، ص١٢.

(٢٢٥) وهذه بعض الفروقات التي تؤكد ذلك:

(الألباني ص٣٣) بعد الصلاة على النبي ε ذكر الآيتين الآتيتين مباشرة دون أي كلام يسبقهما، ثم قال: "التفضيل الأول صريح في المفاضلة، والثاني في تضعيف المفاضلة بدرجات".=

=(المنجد ص١٧) "الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن التابعين.

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العاملُ مفتي المسلمين عِزُّ الدين أبو محمد عبدالعزيز ابن عبدالسلام السُّلمي رحمةُ الله عليه:

قال الله تعالى لنبينا محمد صلوات الله عليه وسلامه مُمْتَنًّا عليه، مُعَزِّفًا لقدْرِه: چ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ چ

وقد فضّل الله تعالى بعض الرسل على بعض، فقال: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ چ، فالتفضيل الأول صريح في أصل المفاضلة، والثاني في تضعيف المفاضلة بدرجات. ونكّرها تنكير التعظيم بمعنى درجاتٍ عظيمة ".

(الألباني، ص٣٤) "ولما كان ذِكر مناقب النفس إنما تُذكر افتخارًا في الغالب".

(المنجد، ص١٨) "ولما كان من ذَكَرَ مناقبَ نفسِه إنما يذكُرُها افتخارًا في الغالب"، والمعنى واحد، ولكن النص هنا أجود.

(الألباني، ص٤٢، فقرة ١٣) كلمة "سيأتي".

(المنجد، ص٢٥) "شتان"، وهو الصواب.

(الألباني، ص٤٤، فقرة ١٤) "إلا وله أجر من عمل به".

(المنجد، ص٢٥) "إلا وله أجره وأجر من عمل به" وهو الصواب.

(الألباني، ص٤٤) سقط حديث استشهد به المصنف، (وهو في تحقيق المنجد، ص٢٥) قال ﷺ: "من دعا إلى هدىً؛ كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة".

(الألباني، ص٤٥، سطر ١) "من أجزاء الشطر".

(المنجد، ص٢٦، سطر ٤) "من أجزاء الشطر الآخر"، وهو أوضح.

(الألباني، ص٤٧، سطر ٢) "بالنسبة".

(المنجد، ص٣، سطر ٢٨) "بالتسبب"، وهو أولى، لكنه هنا غلط بالآية فاستبدل الواو بالفاء.

(الألباني، ص٥١، فقرة ١٨) "ومنها أنه لما ذكر السؤدد مطلقًا، فقد قيّده بيوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشفّع".

(والنص الصحيح عند المنجد، ص٢٨.٢٩) "ومنها أنه كلما ذكر السؤدد مطلقًا، فقد قيّده بيوم القيامة، فقال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافعٍ وأول مشفّع".

(الألباني، ص٦٢، فقرة ٢٩) "خيرّه بين أن يكون ملكًا، أو نبيًّا عبدًا".=

=(المنجد، ص٣٢) "خيّره بين أن يكون نبيًّا ملكًا، أو نبيًّا عبدًا"، وهو الصحيح.

(الألباني، ص٦٦، فقرة٣١) "وأنه جاء بإتمام مكارم الأخلاق".

(المنجد، ص٣٢) "وأنه جاء لإتمام مكارم الأخلاق".

(الألباني، ص٦٦، فقرة ٣١) "وما نُقل من خشوعه، وخضوعه، وتبتله، وتواضعه".
(المنجد، ص٣٣) "وما نُقل من خشوعه وخضوعه، وتبذّله وتواضعه"، وهو المناسب للسياق.
(الألباني، ص٦٦، فقرة ٣١) "وقيامه بأعباء رسالته في نصرة دين الله وإعلاء كلمته، وما لقيه من أذى قومه وغيرهم في وطنه وغربته، فبعض هذه المناقب موجودة في كتاب الله وكتب شمائله".
(النص كامل عند المنجد، وهو أوضح، ص٣٣) "وقيامه بأعباء رسالته، ورأفته بالمؤمنين ورحمته، وغِلْظته على= =الكافرين وشدّته، ومجاهدته في نُصرة دين الله وإعلاء كلمته، وما لقيه من أذى قومه وغيرهم، في وطنِه وغُربته، فبعض هذه المناقب موجود في كتاب الله، وبعضها موجودٌ في كتب شمائله وسيرته".
(الألباني، ص٦٨، فقرة ٣٥) "ولو اقتصر لتوجه عليه اللوم".
(المنجد، ص٣٤) "ولو قصَّر لتوجه إليه اللوم"، والشيخ الألباني صحّح كلمة "اقتصر" بالهامش.
(الألباني، ص٧٥، فقرة ٤١) "وكما فضّله الله على أنبيائه ورسله من البشر، فكذلك فضّله على من اصطفاه من رُسُله من أهل السماء وملائكته، لكن أفاضل البشر أفضل من الملائكة؛ لقوله تعالى: چ ۇ ۆ ۆ و و ۉ ې ې ې چ، والملائكة من جملة البريّة؛ لأن (البرية) مأخوذة من (برأ الله الخلق): أي اخترَعه وأوجدَه".
(المنجد، ص٣٥) "وكما فضّله الله على أنبيائه ورُسُله من البشر، فكذلك فضّله على من اصطفاه من رُسُله من أهل السماء وملائكته؛ لأن أفاضل البشر أفضل من الملائكة؛ لقوله تعالى: چ ۇ ۆ ۆ و و ۉ ې ې چ، والملائكة من جملة البريّة؛ لأن البرية الخليقة، مأخوذ من برأ الله الخلق: أي اخترَعه وأوجدَه".
لكن وقع عنده سقط في الآية وهو قوله: {هم}.
(الألباني، ص٧٥.٧٦) فإن قيل: البريّة مأخوذة من البرا، وهو التراب، والبشر مخلوق من التراب، لكأنه قال: إنّ الذي آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خيرُ البشر.
فالجواب من وجهين: أحدُهما أن أئمة اللغة قد عدّدوا البريئة في جملة ما تركت العرب هَمْزَهُ.
والوجهُ الثاني، وهو الأظهَرُ: أنّ نافعًا قرأ بالهمز. وكلا القراءتَيْن كلامُ الله. فإن كانت إحدى القراءتين قد فَضّلَت الذين آمنوا على سائر البشر، فقد فضّلتْهم القراءة الأخرى على سائر الخلق. وإذا ثَبَتَ أنّ أفاضل البشر أفضَلُ من الملائكة، فالأنبياء – صلوات الله عليهم– أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بدليل قوله= =تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء چ ڳ ڳ ڳ ڳ چ، فدلّت هذه الآية على أنهم أفضل البشر، وأفضلُ من الملائكة؛ لأن الملائكة من العالَمين، سواء كان مُشْتقًّا من العلم أو من العلامة. وإذا كانت الأنبياء أفضل من الملائكة، فرسول الله ε أفضل الأنبياء، فقد ساد سادات الملائكة، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين، وأعلا منهم برتبتين".
(المنجد، ص٣٦.٣٧) فإن قيل: البريّة مأخوذ من البرَى، وهو التراب، فكأنه قال: إنّ الذي آمنوا وعملوا

الكتاب كما جاءت في تحقيقه، وإن كان الشيخ الألباني قدّم خدمة عظيمة لهذا الكتاب أفضل من التحقيقات الأخرى، وسعة علم الشيخ ودقته، جعلته ينتبه إلى بعض السقطات في النسخة التي حقَّق عليها الكتاب.

ويلاحظ أن القسم الأخير من اسم الكتاب لا اختلاف عليه، وهو ((تفضيل الرسول))، وهذا هو المهم؛ إذ يُبيّن الهدف من الكتاب؛ فالفضائل جزء من الخصائص، وهذا مما هدف إليه العز بن عبدالسلام في كتابه، فبعد أن ذكر بعض فضائل الرسول ε قال: "وهذه الخصائص تدلُّ على علوّ مرتَبتِه على آدم وغيره، إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب"(٢٢٦)، وقال بعد ذكره لحديث "أنا أول شافع وأولُ مُشفَّع"، قال: "وهذا يدلُّ على تخصيصه وتفضيله"(٢٢٧)، وبعد أن أشار إلى حديث "أُعطيتُ خمسًا لم يعطهن نبيٌ قبلي" قال: "وهذه الخصائص تدلُّ على عُلوّ مرتبته والرِّفق بأمته"(٢٢٨)؛ ولذا فقد جاء اسم الكتاب في إحدى نسخه الخطية ((رسالة في خصائص الرسول ρ))(٢٢٩)، ومن الواضح أنه اجتهاد من الناسخ بناءً على مضمون الكتاب.

الصالحات أولئك هم خيرُ البريئة. (وصُححت بهامش المخطوط "البشر").

فالجواب من وجهين: أحدُهما أن أئمة اللغة قد عدّوا البريئة في جملة ما تركت العرب هَمْزَهُ. والوجهُ الثاني، وهو الأظهَرُ، أنّ نافعًا قرأ بالهمز. وكلا القراءتَيْن كلامُ الله. فإن كانت إحدى القراءتين قد فَضّلَت الذين= =آمنوا وعملوا الصالحات على سائر البشر، فقد فضّلتْهم القراءة الأخرى على سائر الخلق. وإذا ثَبَتَ أنّ أفاضل البشر أفضَلُ من الملائكة، فالأنبياء صلوات الله عليهم وسلامُه أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بدليل قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ چ، فدلّت هذه الآية على أنهم أفضل البشر، وأفضلُ من الملائكة؛ لأن الملائكة من العالَمين، سواء كان مُشْتقًّا من العالم أو العلامة. وإذا كانت الأنبياء أفضل من الملائكة، ورسول الله ε أفضل من الأنبياء؛ فقد ساد سادات الملائكة، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين، وأعلى منهم برتبتين".

(٢٢٦) ص١٩ تحقيق المنجد، وص٣٥ تحقيق الألباني.

(٢٢٧) ص٢٠ تحقيق المنجد، وص ٣٦ تحقيق الألباني.

(٢٢٨) ص٣٠ تحقيق المنجد، وص٥٧ تحقيق الألباني.

(٢٢٩) هي نسخة الجامع الكبير (الأوقاف) صنعاء، ٤٩٠/١-٤٩١ (مجاميع ٨٧، من الورقة ١٣٧-١٤٢)،= =(فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير، صنعاء، إعداد أحمد الرقيحي، وعبدالله الحبشي، وعلي

وقد أورد ابن عبدالسلام في كتابه هذا أكثر من أربعين فضيلة من فضائل الرسول ε، وحكم الشيخ الألباني على هذا الكتاب، فقال: "رسالة المؤلف هذه فإنها نخبة ممتازة، ليس فيها بفضل الله ما يمكن القطع بضعفه، بل جله ــ إن لم أقل كله ــ صحيح ثابت كما سيتبيّن للقارئ الكريم من تخريجنا لها، وهي مزية قلما تتحقّق في كتاب"(٢٣٠).

وهذا من خصائص الكتاب التي تميّز بها، والتي تندر في المصنفات الأخرى، قال الألباني: "وهذه ميزة قلما تتحقّق في غيرها، لا سيما في مثل هذا الموضوع (الفضائلي)، فإنهم جروا على التساهل في رواية الأحاديث فيها"(٢٣١)، وهذا التساهل يجر إلى رواية الأحاديث الموضوعة، كما فعل السيوطي في كتابه ((الخصائص الكبرى))، فهذا الكتاب محشو بالأحاديث الموضوعة والمكذوبة، فضلًا عن الروايات الضعيفة والمنكرة(٢٣٢).

وقد بيّن العزُّ بن عبدالسلام هدفه وطريقته في الكتاب باقتضاب، فقال: "وهذه لُمَعٌ وإشارات يكتفي العاقلُ الفَطِنُ بمثلها، بل ببعضها، ونحن نسألُ الله تعالى بمنّه وكَرَمه أن يوفقنا لاتباع رسوله في سُنّته، وطريقته، وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة، وأن يجعلنا من أحزابه وأنصاره"(٢٣٣).

فالكتاب مختصر، لكنّه وفّى بالغرض وكفّى، وحقّق الهدف من كتابته، وهو التركيز على الخصائص التفضيلية للرسول ρ، ومن أراد الانتفاع والاقتداء ومعرفة حق الرسول ε وقدره، فيكيفه القليل من الدليل، والزيادة ومحاولة الاستيعاب في مثل هذا الباب ــ وهي مستحيلة ــ من زيادة العلم التي لا تضر؛ خاصة أنه يداخلها بعض الأحاديث والأخبار التي تخرج عن إطارها الشرعي، وقد يقع جامعها بمحذور التقميش بالروايات، فيضرّ ولا ينفع، وسبقت الإشارة إلى هذا في المقدمة، وصرّح

الآنسي، صنعاء، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

(٢٣٠) مقدمة الألباني في تحقيقه، ص١٢-١٣، وتنظر ص١٤.

(٢٣١) المرجع السابق، ص١٤.

(٢٣٢) المرجع السابق، ص١٤-١٥.

(٢٣٣) ص٣٧-٣٨ تحقيق المنجد، وص٧٧ تحقيق الألباني.

به الشيخ الألباني، وانتقد السيوطي ـ كما تقدم ـ وضرب بعض الأمثلة بما في كتاب ((الخصائص الكبرى)) من الأحاديث الموضوعة فضلًا عن الضعيفة والمنكرة، قال: وهي كثيرة جدًّا(٢٣٤).

وإنَّ حِرْص المصنف على إيراد ما صحّ به نصٌّ هو قيمة هذا الكتاب، وإلا فإن مَن سبقه في الكتابة بالخصائص، أو الدلائل، أو الفضائل أو غيرها تطرّق لما ذكره من معلومات واستنباطات.

المبحث الخامس: كُتب الخصائص بعد القرن السابع إلى نهاية القرن العاشر

لقد لفت نظري انقطاع إفراد الخصائص بالتصنيف من منتصف القرن السابع الهجري إلى قُبيل منتصف القرن الثامن الهجري تقريبًا، وهذا حسب المتوفر من أسماء المصنفات التي وصلت إلينا أسماؤها، وإلا فقد يُوجد من صنّف ولم يصل علمه إلينا بعد، ولكن الزخم الذي حظيت به الخصائص في القرنين السادس والسابع توقّف إلى قرابة منتصف القرن الثامن، ثم عاد بقوة أكثر من قبل، مع التنبه إلى أن الكتابة في الخصائص لم تتوقف، فقد كانت تُدرج في كثير من المصنفات، وخاصة الكتب الفقهية، ولكن مقصودنا إفرادها بالكتابة المستقلة.

ولعل من المفيد ذكر المصنفات المفردة في هذا الباب إلى نهاية القرن العاشر؛ لأن ما كُتب بعد ذلك إنما هو في الأغلب تلخيص، أو شرح، أو نظم لما سبق من مصنفات، وعسى أن تسهِّل هذه القائمة للباحثين لمن شاء أن يُقدّم دراسات في هذا المجال، أو يُحقّق شيئًا منها مما لم يُنشر، مع الأخذ بعين النظر إلى أن هذه الكتب بحاجة إلى تحقيق في النسبة، والمضمون، والعنوان، ونحو ذلك:

((خصائص النبي ρ)) لصلاح الدين العلائي خليل بن كيكلدي (ت ٧٦١هـ)(٢٣٥).

---

(٢٣٤) ينظر ص١٥-٢١.

(٢٣٥) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، عناية محمد فؤاد عبدالباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، ومراجعة عبدالعزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ،

((خصائص النبي ε))، الحافظ مغلطاي بن قليج أبو عبدالله (ت ٧٦٢هـ)[٢٣٦].

((ملاذ المستعيذ وعياذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين في الأحاديث الأربعين المروية على آيات من الذكر الحكيم والنور المبين))، أو ((ملاذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين أربعون حديثًا))، أو ((ملاذ المستفيد في خصائص سيد المرسلين في الأحاديث الأربعين))، لأبي الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح الجذامي الرُّنْدي (ت ٧٦٧هـ)[٢٣٧].

((أرجوزة في خصائص النبي ε ومعجزاته)) للتاج السبكي عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)[٢٣٨].

((خصائص سيد العالمين)) ليوسف بن محمد بن مسعود السُّرَّمَرِّي العبادي (ت ٧٧٦هـ)[٢٣٩].

((غاية السول في خصائص الرسول ρ)) لابن الملقن عمر بن علي (ت ٨٠٤هـ)[٢٤٠].

٢٧٤/١٣، ولم يذكر ابن حجر اسم الكتاب، وإنما قال: "ويتفرع من ذلك حكم الخصائص، وقد أُفردت بالتصنيف، ولشيخ شيوخنا الحافظ العلائي فيه مصنف جليل"، وهذا الكتاب لم يذكره أحد من المعاصرين الذين أحصوا مصنفات العلائي ممن اطلعت على كتاباتهم.

(٢٣٦) الزركلي، الأعلام، ٢٧٥/٧، قال: رسالة في خزانة أبي فارس الأدوزي بالسوس، والمنجد، معجم ما أُلّف عن رسول الله ρ، ص١٨٨، ذكر أن له نسخة خطية بالخزانة الملكية بالرباط (٣٦٥٠). ويحتمل أن يكون جزءًا من كتابه ((الزهر الباسم في سير أبي القاسم))، أو ((الإشارة إلى سيرة المصطفى)).

(٢٣٧) مضى بعض الكلام حوله.

(٢٣٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١١٢/٩.

(٢٣٩) طبع بتحقيق: عمير الجنباز.

(٢٤٠) طبع بتحقيق: عبدالله بحر الدين، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، وطبع باسم ((كتاب خصائص النبي ε))، تحقيق: عادل بن سعد، القاهرة، مكتبة أبي حذيفة السلفية، مساكن عين شمس، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، وقد وهم المنجد فذكره في معجمه مرتين، مما يُظن أنهما كتابان، فذكره مرة باسم ((خصائص النبي ρ)) لعمر بن علي الأنصاري الوادي آشي (ص١٨٨)، ومرة باسم ((غاية السول في خصائص الرسول)) لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن (ص١٨٩)، والمصنف

((تعاليق على الخصائص النبوية)) لابن الهائم أحمد بن محمد القرافي (ت ٨١٥هـ)(٢٤١).

((الإبريز الخالص عن الفضة في إبراز معاني خصائص المصطفى ρ التي في الروضة(٢٤٢)) لابن البُلْقيني جلال الدين عبدالرحمن بن عمر بن رسلان الكناني (ت ٨٢٤هـ)، وقد وردت للكتاب عدة تسميات(٢٤٣).

نفسه، هو ابن الملقن الوادي آشي، وسبب هذا الوهم أن نسخة دار الكتب المصرية (٤٦٠ تاريخ) سمت الكتاب ((خصائص النبي ρ)) ونسبت المصنف الوادي آشي. وتبع المنجد على هذا الوهم: فقيهي،= =جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ص٣٣، ٣٥، ومحقق كتاب ((اللفظ المكرم))، ١/٢٥، ٢٦.

(٢٤١) والكتاب تعاليق على مواضع من الحاوي في خصائص النبي ρ؛ لذا سماه السخاوي ((تعاليق على مواضع من الحاوي)) (الضوء اللامع، ٢/١٥٨)، ومثله الداوودي (طبقات المفسرين، ١/٨٤)، وقد جاء في أول المخطوط: "فهذا تعليق لطيف للشيخ الإمام العالم العلامة ولي الله تعالى شهاب الدين أحمد بن الهائم ـ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ـ على خصوصياته ρ التي ذكرها صاحب الحاوي رحمه الله تعالى"، والكتاب لم يتمه مؤلفه، وعدد أوراقه (٢٧٧)، وهو بخط المصنف، وهو مخطوط بالمكتبة الخالدية بالقدس، ١٣٤٣ سيرة نبوية ٦٠٦، (فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية بالقدس، إعداد: نظمي الجُعبة، تقديم: وليد الخالدي، تحرير: خضر سلامة، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٥٩٩)، ولا أعلم أنه حقق.

(٢٤٢) جاء في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي: "لم يُعرف العنوان الكامل لكتاب الروضة المشار إليه أو اسم مؤلفه" (١/١٠)، ولكن المقصود هو كتاب ((روضة الطالبين وعمدة المفتين)) للنووي، وهو في الفقه الشافعي، والبلقيني شافعي كذلك، وطبع الروضة مرتين، أولًا بتحقيق الشاويش، وسبق ذكرها، ثم بتحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، وقد عقد الشافعي فصلًا في كتابه الروضة عن خصائص النبي ρ، ٧/١٨.٣ تحقيق الشاويش.

(٢٤٣) السخاوي، الضوء اللامع، ٤/١١٣، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١/٧٠٥، ٢/١٥٦٠، وإسماعيل باشا، هدية العارفين، ١/٥٢٠، وفهارس المكتبة العامة بالرياض، ١/٢٣، ومكتبة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، رقم الحفظ (٨٦/٢٤٤)، والفهرس الشامل، ١/١٠، وأورده المنجد في معجمه مرتين باسمين مختلفين (ص١٨٧، ١٨٨)؛ مما يُوهم بتعددهما، وتبعه على هذا الوهم محقق ((اللفظ المكرم)) ١/٢٤، ٢٥، وطبع الكتاب باسم ((خصائص النبي ρ)) منسوبًا لسراج الدين عمر بن رسلان

((نظم الخصائص النبوية)) للعساسي يحيى بن موسى بن محمد السمنودي (ت ٨٤٢هـ)[٢٤٤].

((الأنوار بخصائص المختار)) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)[٢٤٥].

((الخصائص النبوية)) لابن إمام الكاملية محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن علي القاهري الشافعي (ت ٨٧٤هـ)[٢٤٦].

((الخصائص النبوية)) لابن العيني عبدالرحمن بن أبي بكر الصالحي الحنفي المعروف بالصيفي (ت ٨٩٣هـ)[٢٤٧].

((اللفظ المكرم بخصائص النبي ε))، للخيضيري قطب الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن خيضر الدمشقي الشافعي (ت ٨٩٢هـ)[٢٤٨].

البُلقيني (ت ٨٠٥هـ)، وهو والد جلال الدين، بتحقيق عادل بن سعد، مصر، مكتبة أبي حذيفة السلفية، ٢٠٠١ م.

(٢٤٤) السخاوي، الضوء اللامع، ٢٦٢/١٠.

(٢٤٥) ابن تغري بردي، يوسف الحنفي (ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ٢٦/٢، والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتي، بيروت، المكتبة العلمية، ص٤٨، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١٩٥/١، وابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرّج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، بيروت، ودمشق، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)، ٣٩٨/٩، والكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٢٠٢، وسماه ((الأنوار بخصائص النبي المختار))، وعبدالحي الكتاني، فهرس الفهارس، ٣٣٤/١، وإسماعيل باشا، هدية العارفين، ١٢٩/١.

(٢٤٦) السخاوي، الضوء اللامع، ٩٤/٩، وفيه أن وفاته (٨٦٤هـ)، ويبدو أنه تصحيف أو خطأ طباعي، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٠٥/١، وإسماعيل باشا، هدية العارفين، ٢٠٦/٢، وممن ذكر وفاته (٨٧٤هـ): السيوطي، نظم العقيان، ص١٦٣، والشوكاني، البدر الطالع، ٢٤٤/٢.

(٢٤٧) إسماعيل باشا، هدية العارفين، ٥٣٣/١، وترجمه السخاوي، ولكنه لم يذكر كتابه هذا (الضوء اللامع، ٧١/٤)، وقد يشتبه بابن داود عبدالرحمن بن أبي بكر الدمشقي الصالحي (ت ٨٥٦هـ)، وله تصنيف في السيرة (يراجع عند السخاوي، الضوء اللامع، ٦٢/٤).

(٢٤٨) وقد طبع الكتاب، وسبق ذكر طبعته.

((كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب))، ويعرف بـ((الخصائص الكبرى))، أو ((الدر الخالص في المعجزات والخصائص)) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)[٢٤٩].

((أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب))، ويُعرف بـ((الخصائص الصغرى)) للسيوطي أيضًا[٢٥٠].

((طرح السقط في نظم اللقط)) للسيوطي، رسالة صغيرة في الخصائص[٢٥١].

((اللَّفْظ المكرم بخصائص النَّبِي الْمُحْتَرَم)) للسيوطي، ذكره إسماعيل باشا[٢٥٢]، وأشك أنه اختلط بكتاب الخيضري.

((در الغائص في بحر المعجزات والخصائص)) للباعونية عائشة بنت يوسف بن ناصر الدين أحمد الباعوني (ت ٩٢٢هـ)[٢٥٣].

---

(٢٤٩) طبع الكتاب عدة مرات، فطبع بالهند، دائرة المعارف العثمانية، تصحيح عدة من العلماء، ١٣٢٠هـ، وطبع بتحقيق: محمد خليل هراس، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٧٨هـ، وطبع بتحقيق: حمزة النشرتي، وعبدالحفيظ فرغلي، وعبدالحميد مصطفى، القاهرة، مكتبات الأهرام، وصُوّر عدة مرات، وحُقق في رسائل علمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ويا ليت هذه الأطروحات تُطبع؛ ليُستفاد منها.

(٢٥٠) وطبع الكتاب عدة طبعات، فطبع مع فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب للأهدل، مكة المكرمة، مطبعة النهضة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، وطُبع بعناية عباس أحمد صقر، المغرب، مطبعة النجاح، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)، وطبع بتحقيق: هشام بن محمد حيجر، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة العصرية، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م)، وهذه الطبعة ليس تحقيقًا، وإنما بعض التعليقات والتخريجات فقط.

(٢٥١) لها عدة نُسخ تُنظر في الفهرس الشامل، ٦٢٠/٢، وعندي منها نسختان، ولا أعلم أنها حققت.

(٢٥٢) هدية العارفين، ٥٤٢/١.

(٢٥٣) الغزي، محمد بن محمد القرشي (ت ١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ (١٩٩٧م)، ٢٨٨/١، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٣٢/١، وابن العماد، شذرات الذهب، ١٥٨/١٠، وإسماعيل باشا، هدية العارفين،= =٤٣٦/١، ومخطوطة الكتاب بدار الكتب المصرية، القاهرة، ١١٥/١ (٥٥٨)، وهو قصيدة رائية في نظم الخصائص للسيوطي، في (١٧٤٠) بيتًا.

((اللفظ المكرم في خصائص النبي ε)) لابن عبدالسلام شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الشافعي المصري[٢٥٤] (ت ٩٢٧هـ)[٢٥٥].

((مرشد المحتار إلى خصائص المختار ε)) لابن طولون محمد بن علي الصالحي الدمشقي (ت ٩٥٣هـ)[٢٥٦].

((مختصر أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب)) للشعراني عبدالوهاب بن أحمد (ت ٩٧٣هـ)[٢٥٧].

النتائج

يمكن إبراز أهم النتائج العامة، وإلا فإن التفصيلية كثيرة، وهي مبثوثة في ثنايا البحث:

١-يُعدُّ أهل السُّنة أول من أفرد الخصائص بالتصنيف، وما ورد من كتب لبعض الشيعة عن الخصائص فقد تبيّن أنها: إما لا علاقة لها بالخصائص النبوية، أو أنها مصنفات غير مفردة.

٢-اتضح أن إفراد الخصائص في التصنيف كان في بدايات القرن السادس، واستمر إلى منتصف القرن السابع، ثم توقّف إلى قُبيل منتصف القرن الثامن، ليعود بعدها أكثر مما كان.

٣-كما أن الشيعة لم يولوا خصائص الرسول ρ أهمية تذكر، وإنما كان جُلّ كتاباتهم عن خصائص آل البيت، ولم يرد لهم أي كتاب أفرد الخصائص النبوية بالتصنيف خلال فترة البحث.

---

(٢٥٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٥٦٠/٢، وإسماعيل باشا، هدية العارفين، ١٤١/١، ولم أجد من ذكر هذا الكتاب غيرهما.=

(٢٥٥) كذا أرخه الغزي، الكواكب السائرة، ١٥٦/١، وفي كشف الظنون وهدية العارفين أن وفاته (٩٣١هـ).

(٢٥٦) طبع الكتاب بتحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، وطُبع كذلك باسم ((محمد بن طولون الصالحي وتحقيق كتابه مرشد المختار إلى خصائص المختار ρ))، تحقيق: بهاء محمد إسماعيل الشاهد، القاهرة، جامعة الأزهر.

(٢٥٧) مخطوطته في مكتبة البلدية، الإسكندرية، رقم (٢٠٢٦ د سيرة)، والنسخة بديعة كتبت في حياة المؤلف سنة ٩٤٣هـ.

٤-تبيّن من خلال هذا البحث أن الفكرة السائدة بأن أول من أفرد الخصائص بالتصنيف إما ابن الجوزي، أو ابن دحية، أو ابن الملقن، أن هذا غير صحيح، وإنما كان السابق في هذا الباب هو ابن سبع السبتي.

لذا فعلى الباحثين التأني عند تحديد السابق من اللاحق، بل قد يتعاصر اثنان يسبق المتأخر ولادة الأكبر منه سنًّا في التصنيف، أو قد يبقى الأمر محتملًا، ولا يكفي مجرد النظر إلى السبق في الوفاة أو التقدم في العمر، وهذا مثل حالتيّ ابن الجوزي وابن دحية، وكذلك ابن دحية مع ابن الضياء وابن الزملكاني.

٥-لعل من أسباب تأخُّر إفراد الخصائص بالتصنيف، ربطها في البداية ببعض أبواب الفقه فيما يخصُّ الرسول ρ من تشريعات، وكذا علاقتها بالدلائل والمعجزات من بعض الوجوه، فكانت تُدرج في مصنفات تلك الكتب.

٦-ويتعلّق بالنتيجة السابقة، أنه قد يكون من أسباب ظهور إفراد الخصائص بالتصنيف في القرن السادس؛ تركيز المصنفات في القرنين الرابع والخامس على الدلائل والمعجزات والشمائل؛ مما ولّد تفريع الخصائص من هذه الأنواع بعد أن كانت الخصائص مقترنة بها.

٧-إبداع المسلمين العلمي، وعدم جمودهم على أنماط محددة في شتى التخصصات، ومن ذلك مجال السيرة النبوية؛ لذا رأينا أنهم أفردوا الخصائص بالتصنيف بعد أن كانت مندرجة في أنواع أخرى، ثم قسّموا الخصائص وفرّعوها وجعلوها أنواعًا، بل وصل الأمر إلى إفراد أجزاء من الخصائص بالكتابة، مثل خصائص أعضاء رسول الله ρ؛ مما جعل الكتابة في السيرة النبوية في تطور مستمر.

٨-ويُبنى على النتيجة السابقة، أنه يتحتّم في هذا العصر مواصلة المسيرة في الكتابة في مجال السيرة بما يتوافق مع حاجات الواقع ومتطلباته، بدلًا من اجترار الأعمال العلمية وتكرارها بأغلفة متنوعة، مع ضرورة التحول إلى الكتابة النوعية التي تُعيد الحركة والحيوية للسيرة النبوية، فالسيرة مجال خصب للتنويع والتفريع، وعلى كثرة ما كُتب فيها، فما تزال ميدانًا غنيًّا لمن أراد الإبداع والتجديد والبحث والتنويع، ولكن تحتاج إلى عقول نيرة وعزائم قوية، كما حدث لنوابغ من علمائنا، مثل

ابن حزم، وابن عبدالبر، والقاضي عياض، وابن سيد الناس، والذهبي، وابن كثير، وابن القيم، وابن حجر، وغيرهم كثير، فلم يكتفوا بمجرد النقل والجمع والتكرار، بل وظّفوا عقولهم وعلومهم لخدمة السيرة، فنقدوا، وحللوا، واستنتجوا... إلخ

٩-قد يكون التيار الصوفي الذي عمّ ونشط في جُل العالم الإسلامي في القرن السادس، بل واتخذت الطرق الصوفية فيه أشكالًا تنظيمية لم تعهدها من قبل، مع انحرافات فلسفية خطيرة، حتى احتاج العلماء الراسخون إلى الرد على تلك الشطحات التي تُعدُّ من أخطر مراحل التصوف(٢٥٨)؛ قد يكون هذا من أسباب التركيز على إيراد الخصائص التي تُبرز عظمة الرسول ρ، تفاعلًا مع هذا التيار، حتى ولو لم يكن العالم منتظمًا بضلالات الصوفية وطوامهم، وإن كان في كتب بعضهم مغالاة مجانبة للحق، ومن ثَمّ ظهرت المصنفات المفردة في باب الخصائص.

كما أنه في المقابل احتاج المتوسطون في باب الاعتقاد بالرسول ρ أن يكتبوا مصنفات يُركِّزون فيها على ما صحَّ عندهم من الأحاديث في باب الخصائص، ولا ريب أن هذا التقابل لم يتم إلا في وجود الجو العلمي المفتوح، وإن كانت فيه بعض الهنات، ولكن لم تصل تلك الكتابات إلى هذا النضج إلا بتلك المطارحات، بل كم من الإبداعات التي جاءت على أيدي بعض أصحاب الطُّرق والفرق؛ مما جعل الآخرين يستفيدون منها في المنهج، وإن اختلفوا معهم في النتيجة. ونلاحظ أن بعض العلماء الذين تمّ دراسة مصنفاتهم في هذا البحث لهم نزعة صوفية، مثل ابن سبع، وابن دحية، والعز بن عبدالسلام، وإن تفاوتوا في مقدار تلك النزعة.

---

(٢٥٨) يُنظر في هذه المسألة عدة دراسات، منها: الجوير، محمد بن أحمد، جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، والتل، عمر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، دراسة تاريخية، عمان، دار المأمون، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م)، والعلوي، يوسف، الحركة الصوفية بالمغرب الأقصى، التأسيس والتقعيد من القرن ٦هـ إلى ٩هـ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس، ١٤٣٢هـ (٢٠١٠م).

١٠-ويرتبط بالنتيجة السابقة، أن الدارس لمصنفات السيرة في كل قرن يلاحظ أن كل عصر يغلب عليه التركيز على جانب معين من السيرة، فبعد القرون الثلاثة الأولى، والتي كان التصنيف فيها متنوعًا في جميع تخصصات السيرة تقريبًا، نجد أن القرنين الرابع والخامس ركَّزا على الدلائل والشمائل، في حين لا تُوجد إلا كتابات قليلة في بعض الفروع الأخرى، كالمدائح مثلًا، في الوقت الذي كثرت هذه المدائح في القرون المتأخرة، خاصة في القرنين الثامن والتاسع، ونستفيد من هذا أن مثل هذه الألوان من الانحراف بالسيرة عن مغزاها الحقيقي جاء متأخرًا وله أسبابه التي تحتاج إلى تأمل.

١١) كان المغاربة أصحاب السبق في إفراد الخصائص بالتصنيف، وفي الوقت نفسه تساوت أعداد مصنفاتهم في هذا الباب مع أعداد مصنفات المشارقة خلال فترة البحث، كما اشترك أصحاب المذاهب الأربعة في الكتابة في الخصائص، وإن كان الشافعية لهم السبق في الكلام عليها في كتبهم الأولى، ومن أولهم الشافعي نفسه في كتابيه: الأم، وأحكام القرآن.

١٢-غلب على مصنفات الخصائص التساهل في الرواية؛ بُغية تأكيد صحة الاستشهاد من قِبل المصنف، مثل كتاب ابن سبع، وبعض المواضع من كتابي ابن دحية؛ مما جرّ قومًا إلى المغالاة التي خرجت عن الحد الشرعي مما نهى الله عنه ورسول ρ، فأوقع الأمة في متاهات، وضلالات، ومبتدعات حرّفتها عن الصراط المستقيم، ولكن بعض العلماء تنبّهوا إلى خطورة هذا التساهل؛ فكتبوا مصنفات ابتعدت عن الإغراق في التفاصيل، مثل كتاب العز بن عبدالسلام.

١٣-لابد من الوعي بمنهج السابقين في الكتابة، وخاصة في موضوع الرواية الحديثية، فلا يصحُّ النقل عنهم دون بيان درجة الحديث أو الخبر بمجرد ورودها في كتاب من كتاب العلماء الكبار، وبالذات إذا كان لها تعلُّق بالأحكام، وأما ما يُقال عن التغاضي عن أمور الفضائل، ففيه تفصيل بينه العلماء السابقين والمعاصرين، ولا يُطلق القول فيه بدون ضوابطه، فكثير من الكتب التي أرادت إبراز منزلة الرسول ρ تساهلت في الرواية بناءً على مناهج التصنيف في تلك العصور، ولا يجوز في

زمننا هذا إيرادها مع عدم توضيح درجتها؛ لما يترتّب على ذلك من مفاسد عقدية، وشرعية، وسلوكية، وأخلاقية كثيرة، مع تسطيح للعقل المعاصر؛ مما يفتح الباب للطاعنين في النبوة والقادحين في الإسلام، وقد نبّهت إلى هذا مرارًا في البحث، وكذا في كتابي ((دراسة على مصنفات الدلائل والشمائل في القرن الرابع الهجري)).

١٤-مما يُبرز أهمية رصد الحركة العلمية لمعرفة السابق من اللاحق في مجالات العلوم والفنون؛ لحفظ حق أهل التقدم العلمي والأدبي، أن كتاب ((الشفا)) للقاضي عياض أُشتهر جدًّا، وذاع صيته، في حين أن الدراسات تؤكد استفادته الكاملة من كتاب ابن سبع ((شفاء الصدور))، بل إن بعضهم جعل كتاب عياض مجرد تلخيص لكتاب ابن سبع.

١٥-يُعدُّ مُصنّفَا ابن دحية الكلبي في الخصائص من أبرز ما كُتب في القرنين السادس والسابع الهجريين؛ لما تميزا به من مواصفات ذُكرت في مواطنها من البحث، في حين أن كتاب العز بن عبدالسلام من أفضل وأصحّ ما كُتب في الخصائص التفضيلية في فترة البحث.

١٦-من اللافت انقطاع إفراد الخصائص بالتصنيف من منتصف القرن السابع تقريبًا إلى قُبيل منتصف القرن الثامن، مع استمرار إدراجها في المصنفات الأخرى، وبالأخص كتب الفقه.

١٧-ما تزال مكتبتنا العربية والإسلامية تزخر بمصنفات لم تخرج إلى النور بعد، وهي في حاجة إلى التفاتة من طلاب العلم، وبالأخصّ في الأطروحات العلمية، ويستلزم هذا من الأساتذة المتخصصين بذل جهد لإرشاد طلابهم إلى هذه الكنوز الدفينة، ومما ورد له ذكر من الكتب في هذا البحث ولم تُطبع بعدُ، ومخطوطاتها متوفرة: كتابي ابن سبع، وجزء الضياء المقدسي، وكتاب ((خصائص النبي ρ)) لمغلطاي، وكتاب ((تعاليق على الخصائص النبوية)) لابن الهائم، وكتاب ((طرح السقط في نظم اللقط)) للسيوطي، وكتاب ((در الغائص في بحر المعجزات والخصائص)) لعائشة الباعونية، وكتاب ((مختصر أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب)) للشعراني، هذا عدا ما نُشر تجاريًّا ولم يُحقّق بطريقة علمية.

١٨-لابد من التنبه إلى ضرورة التحقيق والتدقيق في أسماء الكتب، والتأكد من نسبتها إلى مصنفيها، وهذه مسألة مشهورة عند محققي المخطوطات، ولكن يتحتَّم على الباحثين عمومًا ألا يكتفوا بمجرد النقل عن الآخرين أسماء المصنفات، ليعطوا تصورًا في مجالات دراساتهم عن تطور علم أو فنٍ ما، أو مَن سبق إلى الكتابة فيه، وذلك بمجرد النظر إلى أسماء الكتب التي ذُكرت في المصادر أو المراجع، وقد مرّ معنا من الأمثلة في هذا البحث أسماء كتب الشيعة، والتي لم ينطبق شيءٌ مما ذُكر عنها على موضوع هذا البحث، وإن بدا من ظاهر أسمائها توافقها مع المراد، ومن ذلك الرسالة المنسوبة لعبدالواحد بن عبدالكريم ابن خطيب الزملكاني، وتبيَّن أنها لحفيده محمد بن علي الزملكاني، وأن الرسالة ليست تصنيفًا مُستقلًا، وإنما مستلة من كتابه ((تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى))، وكذا كتاب أبي سالم محمد بن طلحة النصيبي الذي ذكره بعضهم باسم ((مطلب السول في مناقب الرسول ρ))، إذ تبيّن أن اسمه الصحيح ((مطلب السؤل في مناقب آل الرسول))، وليس فيه ما يتعلَّق بموضوعنا، وكذا الكتاب المنسوب لابن مسدي محمد بن يوسف، واتضح أنه ليوسف بن موسى الرُّندي.

وقد يجد الباحث نفسه مضطرًا إلى عدم القطع بنتيجة محددة؛ لعدم توفر دليل يقيني يثبت المسألة أو ينفيها، وهذا مثل ما مرّ معنا في هذا البحث عن كتاب ابن الجوزي ((الدُّر الثمين في خصائص النبي الأمين))، فإما أن يكون كتابًا مستقلًا، أو لا تصح نسبته إليه، أو يكون هو نفسه كتابه الآخر ((الوفاء بتعريف فضائل المصطفى ρ))، فتبقى الاحتمالات قائمة إلى أن تظهر أدلة جديدة.

كما تبيَّن عند تحرير أسماء الكتب التي تمّ دراستها في هذا البحث؛ أن أغلبها يحتاج إلى ضبط اسمه؛ مما يُظهر مدى الحاجة الشديدة إلى الدراسة المتأنية عند إطلاق الاسم على الكتاب من قِبل المحققين.

المصادر

[١] ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، *التكملة لكتاب الصلة*، تحقيق عبدالسلام الهراس، لبنان، دار الفكر، ١٤١٥هـ (١٩٩٥ م).

[٢] البرقي، أحمد بن محمد (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ)، *المحاسن*، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه جلال الدين الحسيني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ.

[٣] ابن البطريق الحلي، يحيى بن الحسن (ت ٦٠٠هـ)، *خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين*، طبعة مالك المحمودي، قم، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، عن طبعة تبريز، ١٣١١هـ.

[٤] ابن تغري بردي، يوسف الحنفي (ت ٨٧٤هـ)، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تحقيق محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤ م.

[٥] حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧هـ)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

[٦] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، *تبصير المنتبه بتحرير المشتبه*، تحقيق محمد علي النجار، مراجعة علي البجاوي، بيروت، المكتبة العلمية.

[٧] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، تحقيق محمد عبدالمعيد ضان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ (١٩٧٢ م).

[٨] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، عناية محمد فؤاد عبدالباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، ومراجعة عبدالعزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

[٩] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، *لسان الميزان*، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ (١٩٧١ م)، وتحقيق عبدالفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

[١٠] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، *المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة*، تحقيق محمد الميادیني، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ (١٩٩٨ م).

[١١] الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، *أمل الآمل*، تحقيق أحمد الحسيني، قم، دار الكتاب الإسلامي.

[١٢] الحلبي، علي بن إبراهيم (ت ١٠٤٤هـ)، *السيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون*، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

[١٣] ابن الحمصي، أحمد بن محمد (ت ٩٣٤هـ)، *حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران*، تحقيق عبدالعزيز فيّاض حرفوش، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م.

[١٤] ابن حيون، أبو حنيفة النعمان بن محمد القاضي (ت ٣٦٣ هـ)، *شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار*، تحقيق محمد الجلالي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٤هـ.

[١٥] ابن خطيب الزملكاني، عبدالواحد بن عبدالكريم (ت ٦٥١هـ)، *غاية المحصّل في شرح المفصّل*، تحقيق أسماء بنت محمد الحبيب، أطروحة ماجستير لم تنشر بعد، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع اللغة والنحو والصرف، ١٤٢٤هـ.

[١٦] ابن خطيب الزملكاني، عبدالواحد بن عبدالكريم (ت ٦٥١هـ)، *المجيد في إعجاز القرآن المجيد*، تحقيق شعبان صلاح، القاهرة، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (١٩٨٩ م).

[١٧] الخفاجي، أحمد بن محمدالمصري (ت ١٠٦٩هـ)، *نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض*، تحقيق محمد عبدالقادر عطار، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٢٠٠١ م).
[١٨] ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٠٠ ـ ١٩٩٤ م.
[١٩] الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ)، *طبقات المفسرين*، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة.
[٢٠] ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن (ت ٦٣٣هـ)، *الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ρ من المعجزات*، تحقيق جمال عزّون، الشارقة، مكتبة العمرين العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠ م).
[٢١] ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن (ت ٦٣٣هـ)، *أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين*، تحقيق محمد آمحزون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
[٢٢] ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن (ت ٦٣٣هـ)، *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبدالمجيد وأحمد بدوي، ومراجعة طه حسيين، بيروت، دار العلم للجميع، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥ م).
[٢٣] ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن (ت ٦٣٣هـ)، *نهاية السول في خصائص الرسول*، تحقيق عبدالله الفادني، مراجعة محمد محيي الدين الأصفر، قطر، مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف بقطر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (١٩٩٥ م).
[٢٤] ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، *جمهرة اللغة*، تحقيق رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
[٢٥] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، *العبر في خبر من غبر*، تحقيق محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ٦٧/٢.

[٢٦] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ (١٩٩٣ م).
[٢٧] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، *تذكرة الحفاظ*، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (١٩٩٨ م).
[٢٨] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥ م).
[٢٩] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ (١٩٦٣ م).
[٣٠] الرُّوداني، محمد بن محمد بن سليمان المغربي (ت ١٠٩٤هـ)، *صلة الخلف بموصول السلف*، تحقيق محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨ م).
[٣١] الزبيدي، أبوالفيض محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق علي سيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).
[٣٢] الزرقاني، محمد بن عبدالباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ)، *شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٦ م).
[٣٣] الزملكاني، محمد بن علي بن عبدالواحد (ت ٧٢٧هـ)، *تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى*، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الجفير، أطروحة دكتوراه لم تنشر بعد، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم العقيدة، ١٤٢٣هـ.
[٣٤] السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)، *طبقات الشافعية الكبرى*، تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو،

القاهرة، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، وطبعة القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
[٣٥] السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)، *الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ*، مطبوع مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، ترجمة صالح العلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣ م).
[٣٦] السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)، *الإلمام في ختم سيرة ابن هشام*، تحقيق حسين الحدادي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥ م).
[٣٧] السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، دار مكتبة الحياة.
[٣٨] السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، *أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب*، عناية عباس أحمد الحسيني، الدار البيضاء، مكتبة النجاح، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (١٩٩٥ م).
[٣٩] السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ (١٩٩٨ م).
[٤٠] السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، *الخصائص الكبرى*، بيروت، دار الكتب العلمية.
[٤١] السيوطي، عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)، *نظم العقيان في أعيان الأعيان*، تحقيق فيليب حتي، بيروت، المكتبة العلمية.
[٤٢] أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، *الذيل على الروضتين*، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، عناية: السيد عزت العطار، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٩٧٤ م.
[٤٣] الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ)، *خصائص الأئمة*، تحقيق د محمد هادي الأميني، مشهد، إيران، مجمع البحوث الإسلامية الأستانة الرضوية، ١٤٠٦هـ.
[٤٤] ابن الشعّار، المبارك بن أحمد بن حمدان الموصلي (ت ٦٥٤هـ)، *قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان*

في شعراء هذا الزمان، تحقيق كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ (٢٠٠٥ م).
[٤٥] ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)، *معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة واسماء المصنفين منهم قديما وحديثا*، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ (١٩٦١ م).
[٤٦] الصفّوري، عبدالرحمن بن عبدالسلام (ت ٨٩٩هـ)، *نزهة المجالس ومنتخب النفائس*، مصر، المطبعة الكاستلية، ١٢٨٣هـ.
[٤٧] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، *فهرست الطوسي*، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
[٤٨] ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت ٩٥٣هـ)، *مرشد المحتار إلى خصائص المختار*، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧ م).
[٤٩] والعامري، يحيى بن أبي بكر الحَرَضي (ت ٨٩٣هـ)، *غربال الزمان في وفيات الأعيان*، تحقيق: محمد ناجي العمر، إشراف عبدالرحمن الإرياني، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥ م).
[٥٠] العز بن عبدالسلام، عبدالعزيز بن عبدالسلام السُّلمي (ت ٦٦٠هـ)، *منية (نهاية) السول في تفضيل الرسول*، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ (١٩٨١ م)، وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
[٥١] ابن العماد، عبدالحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه عبدالقادر الأرناؤوط، دمشق وبيروت، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م). وطبعة دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م).
[٥٢] العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك)*، تحقيق محمد محمد

أمين، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
[٥٣] الغزي، محمد بن محمد القرشي (ت ١٠٦١هـ)، *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة*، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ (١٩٩٧ م).
[٥٤] ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الواسطي (ت القرن الخامس)، *رجال ابن الغضائري*، تحقيق محمد رضا الجلالي، قم، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
[٥٥] القسطلاني، أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ)، *المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*، تحقيق صالح أحمد الشامي، بيروت ودمشق وعمّان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤ م).
[٥٦] الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس (ت ١٣٤٥هـ)، *الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة*، اعتنى بها محمد الزمزمي الكتاني، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ (١٩٩٣ م).
[٥٧] ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، *البداية والنهاية*، تحقيق عبدالله التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧ م).
[٥٨] الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، *الكافي*، تحقيق علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة.
[٥٩] لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عدبالله الغرناطي (ت٧٧٦هـ)، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تحقيق: يوسف علي طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣ م).
[٦٠] المرعشي، نور الله بن شريف الدين الحسيني التستري (ت ١٠١٩هـ)، *مصائب النواصب في الرد على نواقض الروافض*، تحقيق قيس العطار، قم، مطبعة نكَارش، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
[٦١] المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*،

تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

[٦٢] المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، *إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع*، تحقيق محمد عبدالحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩ م).

[٦٣] ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري (ت ٨٠٤هـ)، *البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير*، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤ م).

[٦٤] ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري (ت ٨٠٤هـ)، *غاية السول في خصائص الرسول ρ*، تحقيق: عبدالله بحر الدين عبدالله، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٩٩٣ م).

[٦٥] المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ)، *التكملة لوفيات النقلة*، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ (١٩٨١ م).

[٦٦] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ٣٦٥/١١.

[٦٧] ابن ناصر الدين، محمد بن عبدالله (ت ٨٤٢هـ)، *توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم*، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

[٦٨] ابن النجار، محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ)، *ذيل تاريخ بغداد*، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧ م).

[٦٩] النجاشي، أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)، *رجال النجاشي أو فهرست أسماء مصنفي الشيعة*، تحقيق موسى الزنجاني، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

[٧٠] ابن النحاس أحمد بن إبراهيم (ت ٨١٤هـ)، *مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام*، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطعبة الثالثة ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م).

[٧١] ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هـ)، *الفهرست*، تحقيق رضا تجدد، طهران، منشورات نور محمد أصح المطابع، ١٣٩١هـ (١٩٧١ م).

[٧٢] النَّصِيبي، محمد بن طلحة القرشي (ت ٦٥٢هـ)، *مطلب السؤول في مناقب آل الرسول*، تحقيق عبدالعزيز الطبطبائي، بيروت، مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

[٧٣] النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، *تهذيب الأسماء واللغات*، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، تصوير دار الكتب العلمية.

[٧٤] النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، *روضة الطالبين وعمدة المفتين*، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت ودمشق وعمان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ (١٩٩١ م).

[٧٥] اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ)، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان*، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧ م).

[٧٦] ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، *معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٩٩٣ م).

[٧٧] ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

المراجع

[٧٨] الأبطحي، محمد علي، *تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي*، قم، مطبعة نكارش، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

[٧٩] إسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، عناية وتصحيح محمد بالتقايا ورفعت الكليسى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

[٨٠] إسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون*، عناية وكالة المعارف باسطنبول، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

[٨١] أعراب، سعيد أحمد، أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي، *مجلة دعوة الحق*، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، السنة العشرون، العدد الثامن، رمضان، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م)، والعدد التاسع، شوال، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م)، والعدد العاشر، محرم، ١٤٠٠هـ (١٩٧٩ م).

[٨٢] الأمين، محسن بن عبدالكريم العاملي (ت ١٣٧٣هـ)، *أعيان الشيعة*، تحقيق حسن الأمين، بيروت، دار التعارف.

[٨٣] التستري، جعفر بن حسين (ت ١٣٠٣هـ)، *الخصائص الحسينية ـ خصائص الحسين عليه السلام ومزايا المظلوم*، تحقيق جعفر الحسيني، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام، مركز الأبحاث العقائدية.

[٨٤] بروكلمان، كارل، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة، دار المعارف.

[٨٥] الخضير، عبدالكريم، *الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به*، الرياض، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧ م).

[٨٦] الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١١هـ)، *معجم رجال الحديث وتفاصيل طبقات الرواة*، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ (١٩٩٢م).

[٨٧] الزركلي، خير الدين محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ)، *الأعلام*، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م، (٢٠٦/١).
[٨٨] سزكين، فؤاد، *تاريخ التراث العربي*، ترجمة محمود حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ (١٩٩١ م).
[٨٩] السلامة، ناصر، معجم *مؤلفات ابن الجوزي المخطوطة بمكتبات المملكة العربية السعودية*، مصر، دار الفلاح، والرياض، دار أطلس.
[٩٠] الطبرسي، ميرزا حسين النوري، *فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب*، طهران، ١٢٩٨هـ.
[٩١] الطهراني، آقا بزرك (ت ١٣٨٩هـ)، *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*، قم، وطهران، الناشر إسماعيليان، وكتابخانة إسلامية، ١٤٠٨هـ.
[٩٢] عباس بن محمد رضا القمي (ت ١٣٥٩هـ)، *الكنى والألقاب*، طهران، منشورات مكتبة الصدر.
[٩٣] عبدالحي الكتاني، ابن عبدالكبير الحسني الإدريسي (ت ١٣٨٢هـ)، *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ م.
[٩٤] عسيلان، عبدالله عبدالرحيم، *تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل*، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ (١٩٩٤ م).
[٩٥] العلوجي، عبدالحميد، *مؤلفات ابن الجوزي*، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١٩٩٢ م).
[٩٦] فقيهي، عبدالحميد، جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين عرض تاريخي، *بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية*، المدينة

المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤ م).
[٩٧] *فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي*، دبلن، إيرلندا، إعداد آرثر ج. آربري، ترجمة محمود شاكر سعيد، مراجعة إحسان صدقي العمد، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، ١٤١٣هـ (١٩٩٢/١٩٩٣ م).
[٩٨] *فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية بالقدس*، إعداد نظمي الجُعبة، تقديم وليد الخالدي، تحرير خضر سلامه، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
[٩٩] *فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير*، صنعاء، إعداد أحمد الرقيحي وعبدالله الحبشي وعلي الآنسي، صنعاء، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤ م).
[١٠٠] الكجوري، محمد باقر (ت ١٣١٣هـ)، *الخصائص الفاطمية*، ترجمة سيد علي جمال أشرف، إيران، نشر انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.
[١٠١] كَنّون، عبدالله، *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية.
[١٠٢] المامقاني، عبدالله بن محمد حسن (ت ١٣٥١هـ)، *تنقيح المقال في معرفة علم الرجال*، تحقيق واستدراك محيي الدين المامقاني، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
[١٠٣] محمد تقي التستري، ابن محمد كاظم (ت ١٤١٥هـ)، *قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال*، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
[١٠٤] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، *المعجم الوسيط*، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة.
[١٠٥] مكي، ساجد، *خصائص الزهراء*، بيروت، دار الولاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م.

[١٠٦] المنجد، صلاح الدين، *معجم ما ألف عن رسول الله ρ*، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢ م).
[١٠٧] مؤسسة آل البيت، *الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، السيرة والمدائح النبوية*، مآب، ١٤١٧هـ (١٩٩٦ م).
[١٠٨] نجار، حسناء بكري، *الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث*، أطروحة دكتوراه، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، فرع الكتاب والسنة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩ م)، لم تنشر.
[١٠٩] نصّار، عمار عبودي، *تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي*، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
[١١٠] وجَّاج، أنس، *أبو الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي الحافظ الرَّحَّال*، الرباط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ (٢٠١٠ م).
[١١١] الوهيبي، عبدالله بن إبراهيم، *العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير*، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢ م).
[١١٢] يسف، محمد، *المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها*، المغرب، ١٤١٢هـ (١٩٩٢ م).

The Development ofCategorization in the Prophetic Properties in the Sixteenth and Seventeenth Hijri Centuries

Dr. Abdulaziz bin Salman
Al Qassim University

Abstract. Analienated properties categorization was unknown before the 6thHijrih century because the scientists used to contain such properties in other disciplines. Those researcherswho madealienated properties categorization considered Bin Dihyat El Kalbi (died 633) the first one who escorted this type of writing and it seems that there are other scientists tackled this alienated properties categorization before him. Some Shiites are considered the first group who did the alienated properties categorization. Shiites books, which tackled alienated properties categorization, show that they have nothing to do with the prophetic properties, or they are not alienated workbooks.

It turned out that the alienated properties categorization started in the early sixth century, and perhaps one of the reasons for this delay, linked at the beginning of some sections of the jurisprudence with respect to the Prophet Peace be upon him in terms of legislation, as well as its connection with references and miracles in some respects. It might be the causes of their development in the sixth century is because the works in the 4th and 5th centuries focused on references, miracles and merits which lead to branch off properties of these types after which such properties were associated with them. The idea is that the first who alienated properties categorization was either Ibn Al-jawzi, IbnDihyat or Ibn Al-Mulaqqin was incorrect, but bin Sabh Al Sabti was the first one who tackled this subject matter.

The Muslims scientific creativity in the ProphetBiography was clear and theyalienated properties categorization after which they had been falling in under other types, and there is a fine line between references, merits, virtues, and properties. Distinguishing classifications indicatethe depth of understanding of Muslim Scholars and the maturity of their minds, and then we saw them divided and branched the properties whichwere made in species that made the Prophet Biography writing in constant evolution. It is imperative in these daysto continue writing in the Prophet Biography to be in line with the needs and requirements of actuality, rather than ruminating the scientific work and replication.

The Sophist trends may be one of the reasons for focusing on properties that highlight the greatness of the Prophet peace be upon him and interaction with this trend, even if the world was not even withobscurity of Sophism. On the other hand the intermedators wrote some classifications which emphasized on what is true they have to say about properties.

The Moroccans were headof us in alienated properties categorization, and at the same time the number of classifications in this chapter were equal to the number of their works in east works during the research period, also the fourth doctrine scholars participated in writing of properties.